سياسة الحرب
في دعاء أهل الثغور
«منطلقات وضوابط»

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

2007م. - 1428 هـ.ق

المركز الإسلامي للدراسات

_____

_____

_____

سياسة الحرب
في دعاء أهل الثغور

«منطلقات وضوابط»

السيد جعفر مرتضى العاملي

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

بسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى قيام يوم الدين.

وبعد..

فإنني كنت قد أعطيت وعداً بإجابة طلب وجَّهه إليَّ أخ كريم في أن أكتب عن بعض ما يرتبط بالإمام السجاد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين..

فاخترت إعطاء لمحة عن سياسة الحرب والقتال في دعائه «عليه السلام» لأهل الثغور، وآثرت أن تكون موجزة قدر الإمكان..

فكان هذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ الكريم هو ثمرة هذا الجهد.. غير أن عليَّ أن أسجل هنا الأمور التالية:

الأمر الأول:

إنني حين كتبت هذه العبارات والإشارات لم يتوفر لدي سوى

كتاب واحد، وجدته بعد أن أنجزت شطراً وافراً.. ألا وهو كتاب رياض السالكين لِلْعَلَم العلامة، والفهامة السيد علي خان المدني «رحمه الله» وقدس سره..

فإن وجد فيه القارئ فيما كتبته شيئاً من الخلل أو التقصير، فليغض الطرف.. وليرشدني إليه، بارك الله فيه وعليه..

الأمر الثاني:

إن ما أوردته في هذه المطالعة يرتكز على مقولة مفادها:

أن دعاء الإمام السجاد «عليه السلام» وطلبه من الله تعالى أن يحقق هذه الأمور هو من مفردات السعي إلى تحقيقها، ولو كانت متحققة بالفعل لم يكن لطلبها معنى! وهذا يبرر العمل والسعي إلى الحصول عليها بأيٍ من الوسائل المادية المتوفرة..

فكان عملنا في هذا العرض هو التأكيد على لزوم العمل من أجل تحقيق ذلك كله، واعتباره جزءاً من سياسة الحرب، ومن المهمات، أو الأهداف، أو الأساليب المشروعة، التي لا بد من وضع آليات عملية وإجرائية لها..

الأمر الثالث:

إن هذا الكتاب ـ كما الدعاء ـ قد تضمن أربعة عشر فصلاً، تكفل كل فصل منه بمعالجة ناحية أساس ورئيسة فيما يرتبط بالحرب والقتال..

غير أن بعض الأمور الهامة والحساسة في هذا المجال أيضاً ـ

كالإعلام الحربي، والتربية الروحية، وما إلى ذلك ـ قد تداخلت، وتوفرت الإشارات إليها في العديد من الفصول..

وربما يكون السبب في ذلك هو قصورنا أو تقصيرنا في بلورة القواسم المشتركة للتبويب والتقسيم، أو يكون السبب فيه هو تداخل هذا النوع من الجهد الحربي مع جميع الأقسام، أو مع أكثرها..

الأمر الرابع:

كنا قد عزمنا على أن نلحق كل فصل بخلاصات تتضمن إعادة التأكيد على نقاط رأينا أنها هامة.. ثم أعرضنا عن ذلك، تاركين هذا الأمر إلى القارئ الكريم.. علماً بأننا لم نحاول استقصاء كل ما ألمحت إليه النصوص بصورة حاسمة.. لأن هدفنا كان هو إعطاء النموذج والمثال.. تاركين أمر استخراج سائر النقاط إلى أهل الإختصاص، ومن يهمه الأمر..

الأمر الخامس:

سيلاحظ القارئ العزيز: أن الكلام في شرح هذا الدعاء لم يجر على وتيرة واحدة، فقد جاء مقتضباً في عدد من المواضع، التي قد يكون التفصيل فيها مطلوباً ومرغوباً..

وسبب ذلك هو إحساسنا أن الإفاضة في الكلام سوف تؤدي بنا إلى إثارة بحوث لا يصح الإكتفاء فيها بالإشارة، لأن ذلك قد يسيء إلى الفكرة، إذا كان يؤدي إلى عرضها بصورة منقوصة، أو فهمها على غير وجهها..

الأمر السادس:

إن هذا الدعاء يعطي الإنطباع عن أن ساحة كرم الله سبحانه وتعالى لا تضيق عن إفاضة ذلك السيل العارم من العطايا على سبيل التفضل، والإعجاز، والكرامة لأوليائه، فإذا أوكل الله تبارك وتعالى ذلك إليهم، كلاً أو بعضاً، فلا بد أن يكون سببه أن مصلحتهم تكمن في ذلك..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطاهرين..

بيروت في 25 أيار 2007م الموافق 9 جمادى الأولى 1428هـ.

جعفر مرتضى العاملي

تمهيد الكتاب:

هل يدعو الإمام عليه السلام لجيوش الظالمين؟!

قد يثير البعض سؤالاً مفاده:

إنه إذا كان الإمام السجاد «عليه السلام» هو الذي يدعو لأهل الثغور.. والمفروض: أن الحكام آنئذٍ هم بنو أمية، وهم الذين ارتكبوا مجزرة كربلاء، وعداؤهم وبغضهم لأهل البيت «عليهم السلام»، وجدهم واجتهادهم لاستئصال شأفتهم، وكل من يتشيع لهم كالنار على المنار، وكالشمس في رائعة النهار..

أفلا يعدُّ هذا الدعاء بمثابة إعلان الرضا عن حكومة بني أمية، والتأييد لسلطانهم؟!..

كما أنه يتضمن إشارة تكاد تكون صريحة إلى أن على الناس كلهم بما فيهم شيعة أهل البيت «عليهم السلام» أن يشاركوا في الثغور، وذلك معناه: الدفاع عن حكم أولئك الطغاة، وحفظه وحفظهم ودفع كل أذى

عنهم..

وقد يجاب عن ذلك:

بأن الإمام «عليه السلام» إنما دعا للشيعة الذين كانوا يشاركون غيرهم في المرابطة، فالدعاء في الحقيقة إنما هو لبعض أهل الثغور لا لجميعهم..

غير أن هذا الجواب غير كاف، فإن الأئمة «عليهم السلام» قد نهوا شيعتهم عن المشاركة في الرباط في دولة الظالمين، فكيف يدعو الإمام لهم، وهم عصاة، ولا سيما مع ما تضمنه هذا الدعاء من إظهار غاية الرقة عليهم، والتودد والمحبة لهم، مع أن المطلوب هو الإعراض عنهم، وإظهار الإستياء من مخالفتهم للتكليف الشرعي، بل إن من مات في هذا السبيل فإن ميتته جاهلية كما صرحت به بعض الروايات، وكما سيظهر في الروايات الآتية..

فالأولى أن يقال في الجواب ما يلي:

إن روايات الأئمة من أهل البيت «عليهم السلام» حول هذا الموضوع، تنقسم إلى عدة طوائف..

الطائفة الأولى:

تلك التي تحرِّم الجهاد مع غير الإمام المفترض طاعته، فضلاً عن الظالمين والضالين. ومن لا يحكم أو لا يؤمن على الحكم بما أنزل الله، ومن لا يحفظون حدود الله تبارك وتعالى. ونذكر منها ما يلي:

1 - روي عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام»: لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عز وجل، فإنه إن مات في ذلك المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا، والإشاطة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية[1].

2 - عن بشير (الدهان) أنه قال لأبي عبدالله «عليه السلام»: إني رأيت في المنام: أني قلت لك: إن القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام، مثل الميتة، والدم، ولحم الخنزير.

فقلت لي: نعم، هو كذلك.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: هو كذلك، هو كذلك[2].

3 - عن محمد بن عبد الله السمندري قال: قلت لأبي عبدالله «عليه السلام»: إني أكون بالباب ـ يعني باب الأبواب ـ، فينادون: السلاح.

---

(1) علل الشرايع ص464 والخصال ص625 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص49 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص34 وجامع أحاديث الشيعة = = ج13 ص51 وتحف العقول ص114 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج1 ص245 والبحار ج10 ص104 وج97 ص21 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص142 وتفسير نور الثقلين ج3 ص523.

(2) الكافي ج5 ص27 و23 والتهذيب ج6 ص134 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص45 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص32 وأجوبة مسائل جار الله للسيد شرف الدين ص62.

فأخرج معهم.

فـقال: أرأيتك إن خرجت فأسرت رجلاً، فأعطيته الأمان، وجعلت له من العهد ما جعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» للمشركين، أكان يفون لك به؟!

قال: قلت: لا والله، جعلت فداك، ما كانوا يفون لي به.

قال: فلا تخرج.

قال: ثم قال لي: أما إن هناك السيف[1].

4 ـ عن سماعة عن أبي عبدالله «عليه السلام»، وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال رجل لعلي بن الحسين «عليه السلام» (وهو عباد البصري):

أقبلت على الحج وتركت الجهاد، فوجدت الحج أيسر عليك، والله يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**﴾ الآية..؟!

فقال علي بن الحسين «عليه السلام»: اقرأ ما بعدها.

قال: فقرأ: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الآمِرُونَ بالمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ**﴾[2].

---

(1) التهذيب ج6 ص135 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص48 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص34 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص52 .

(2) الآيتان 111 و112 من سورة التوبة.

قال: فقال علي بن الحسين «عليه السلام»: إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً.. أو نحو ذلك[1].

الطائفة الثانية:

ما دل على مشروعية القتال مع امام عادل، أو دفاعاً عن النفس والمال والرحل، إن دهمه عدو، فمن ذلك:

1 - كتب الإمام الرضا «عليه السلام» إلى المأمون: «والجهاد واجب مع إمام عادل، ومن قاتل فقتل دون ماله ورحله، ونفسه، فهو شهيد»[2].

2 - عن الإمام الصادق «عليه السلام»، في حديث شرائع الدين -

---

(1) التهذيب ج6 ص134 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص48 و46 و47 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص34 و 33 و 32 والكافي ج5 ص22 والإحتجاج ج2 ص44 وتفسير القمي ج1 ص306 ومجمع البيان ج5 ص131 والتفسير الصافي ج2 ص381 وتفسير نور الثقلين ج2 ص272 و 273 ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج3 ص298 والبحار ج46 ص116 وج97 ص18 وجامع أحاديث الشيعة ج10 ص178 وج13 ص52 وأعيان الشيعة = = ج1 ص635 وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج1 ص211.

(2) تحف العقول ص313 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص49 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص35 والخصال ص607 أبواب المئة فما فوقها، والبحار ج97 ص23 وعيون أخبار الرضا ج2 ص124.

قال: والجهاد واجب مع إمام عادل، ومن قتل دون ماله فهو شهيد[1].

3 - وعن علي «عليه السلام» أنه قال لكميل بن زياد: «يا كميل، لا غزو إلا مع إمام عادل، ولا نفل إلا مع إمام فاضل»[2].

4 - وفي حديث الأربع مئة عن أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لا يخرج المسلم في جهادٍ، مع من لا يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفيء أمر الله عز وجل، فإن مات في ذلك كان معيناً لعدونا في حبس حقوقنا، والإشاطة بدمائنا، وميتته ميتة جاهلية»[3].

وهذا يشمل صورة المسير إلى الثغور للمرابطة، أو غزو العدو

---

(1) الخصال ص607 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص49 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص35 والبحار ج10 ص226.

(2) البحار ج74 ص274 و 416 وبشارة المصطفى ص29 و (ط مركز النشر الإسلامي سنة 1420هـ) ص57 والوسائل وط دار الإسلامية) ج18 ص16 وتحف العقول ص118 و (ط مركز النشر الإسلامي سنة 1404هـ) ص175 ومستدرك الوسائل ج11 ص33 ومصباح البلاغة للميرجهاني ج1 ص125 ونهج السعادة ج8 ص226.

(3) الخصال ص625 وعلل الشرائع ج2 ص464 وتحف العقول ص114 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص49 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص34 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج1 ص245 والبحار ج10 ص104 وج97 ص21 ومستدرك سفينة البحار ج2 ص142 وتفسير نور الثقلين ج3 ص522 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص51.

في بلده..

الطائفة الثالثة:

ما دل على أن الذي كان يمارسه الناس في تلك الفترة لا ينطبق عليه اسم الجهاد المطلوب والمحبوب لله، ولا هو من المرابطة المأمور بها.. فلاحظ ما يلي:

1 - عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: «ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلا الحج والعمرة، والجوار»[1].

2 - عن عبد الملك بن عمرو، قال: قال لي أبو عبدالله «عليه السلام»: يا عبد الملك، ما لي لا أراك تخرج إلى هذه المواضع التي يخرج إليها أهل بلادك؟!

قال: قلت: وأين؟!

قال: جدة، وعبادان، والمصيصة، وقزوين.

فقلت: انتظاراً لأمركم، والإقتداء بكم.

فقال: إي والله، لو كان خيراً ما سبقونا إليه.

قال: قلت له: فإن الزيدية يقولون: ليس بيننا وبين جعفر خلاف

---

(1) الكافي ج1 ص251 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص47 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص33 وشرح أصول الكافي ج6 ص15 والبحار ج25 ص74 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص52 وتأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج2 ص826.

إلا أنه لا يرى الجهاد.

فقال: أنا لا أراه؟!

بلى والله، إني لأراه، ولكنني أكره أن أدع علمي إلى جهلهم[1].

3 ـ وفي تفسير آية: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾[2]. روي عن الإمام الباقر «عليه السلام» أنه قال: نزلت فينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به بعد، وسيكون ذلك: من نسلنا المرابط، ومن نسل ابن ناثل المرابط[3].

والمراد بابن ناثل ـ فيما يظهر ـ: العباس بن عبد المطلب، فإن اسم أمه «نثيلة». ويتضح ذلك بملاحظة الرواية التالية أيضاً.

4 ـ وعن القمي «رحمه الله» عن السجاد «عليه السلام» قال:

---

(1) الكافي ج5 ص19 والتهذيب ج6 ص126 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص46 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص32 وخاتمة المستدرك للميرزا النوري ج4 ص451 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص50 وإكليل المنهج في تحقيق المطلب للكرباسي ص348.

(2) الآية 200 من سورة آل عمران.

(3) تفسير العياشي ج1 ص213 وج2 ص305 وتفسير القمي ج2 ص23 والبرهان ج2 ص152 ومستدرك الوسائل ج11 ص27 وتفسير نور الثقلين ج1 ص427 وج3 ص196 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص330 والإختصاص للشيخ المفيد ص72 والبحار ج22 ص289 وج24 ص219 وج24 ص375 و 379 وج42 ص150 وج55 ص24 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص26.

نزلت الآية في العباس وفينا، ولم يكن الرباط الذي أمرنا به، وسيكون ذلك: من نسلنا المرابط، ومن نسله المرابط[1].

5 - عن الإمام الصادق «عليه السلام»: الجهاد أفضل الأشياء في وقت الجهاد، ولا جهاد إلا مع الإمام[2].

الطائفة الرابعة:

ما دل على أن من اضطر إلى الرباط مع أولئك الظالمين والمنحرفين، فليدافع عن بيضة الإسلام والمسلمين. لا عن بني أمية، أو غيرهم من الحكام الظالمين.. فلاحظ الروايات التالية:

1 - عن يونس قال: سأل أبا الحسن (أي الرضا) «عليه السلام» رجل، وأنا حاضر، فقلت (الظاهر أن الصحيح: فقال:) جعلت فداك، إن رجلاً من مواليك بلغه أن رجلاً يعطي سيفاً وقوساً (فرساً) في سبيل الله، فأتاه فأخذهما منه. ثم لقيه أصحابه، فأخبروه: أن السبيل مع هؤلاء، لا يجوز. وأمروه بردها؟

فقال: فليفعل.

---

(1) البرهان ج4 ص591 وتفسير القمي ج2 ص152 وله نص آخر ذكره في البرهان ج2 ص150 وكتاب الغيبة للنعماني ص206 ونور الثقلين ج1 ص427 والتفسير الصافي ج1 ص412.

(2) البحار ج96 ص10 وج97 ص25 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج11 ص119 و (ط دار الإسلامية) ج8 ص83 وكامل الزيارات ص552 وجامع أحاديث الشيعة ج10 ص177 وج12 ص401 وج13 ص18.

قال: قد طلب الرجل فلم يجده. وقيل له: قد قضى الرجل.

قال: فليرابط، ولا يقاتل.

قلت: مثل قزوين، وعسقلان، والديلم، وما أشبه هذه الثغور؟!

فقال: نعم.

قال: فإن جاء العدو إلى الموضع الذي هو فيه مرابط، فكيف يصنع؟!

قال: يقاتل عن بيضة الإسلام (زاد في العلل قوله: لا عن هؤلاء).

قال: يجاهد؟!.

قال: لا، إلا أن يخاف على دار المسلمين.

قلت: أرأيتك لو أن الروم دخلوا على المسلمين لم ينبغ لهم أن يمنعوهم؟!

قال: يرابط ولا يقاتل. فإن خاف على بيضة الإسلام والمسلمين، قاتل، فيكون قتاله لنفسه، لا للسلطان، لأن في دروس الإسلام دروس ذكر محمد «صلى الله عليه وآله»[1].

---

(1) التهذيب ج6 ص125 وعلل الشرايع ص603 والكافي ج5 ص21 والبحار ج97 ص22 و 23 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص27 و 54 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص30 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص20.

2 - عن محمد بن عيسى، عن الرضا «عليه السلام»: أن يونس سأله، وهو حاضر عن رجل من هؤلاء، مات وأوصى أن يدفع فرس، وألف درهم، وسيف لمن يرابط عنه، ويقاتل في بعض هذه الثغور.

فعمد الوصي فدفع ذلك كله إلى رجل من أصحابنا، فأخذه منه، وهو لا يعلم أنه لم يأت لذلك وقت بعد.. فما تقول؟ يحلُّ له أن يرابط عن الرجل في بعض هذه الثغور، أم لا؟!

فقال: يرد إلى الوصي ما أخذ منه، ولا يرابط. فإنه لم يأت لذلك وقت بعد.

فقال: يرده عليه.

فقال يونس: فإنه لا يعرف الوصي، ولا يدري أين مكانه.

فقال الرضا «عليه السلام»: يسأل عنه.

فقال له يونس بن عبد الرحمن: فقد يسأل عنه، فلم يقع عليه، كيف يصنع؟!

فقال: إن كان هكذا فليرابط، ولا يقاتل.

فقال له يونس: فإنه قد رابط، وجاءه العدو، وكاد أن يدخل عليه في داره، فما يصنع؟! يقاتل، أم لا؟

فقال الرضا «عليه السلام»: إذا كان ذلك كذلك فلا يقاتل عن هؤلاء، ولكن يقاتل عن بيضة الإسلام، فإنه في ذهاب بيضة الإسلام

دروس ذكر محمد «عليه السلام» إلخ..[1].

وبعد ما تقدم نقول:

إذا رجعنا إلى دعاء الإمام «عليه السلام» لأهل الثغور، وعرضناه على مضامين هذه الروايات فسنرى أنه منسجم معها تمام الإنسجام، وأنه دعاء لأولئك الذين يقاتلون دفاعاً عن بيضة الإسلام والمسلمين، أو على الأقل هو الدعاء المرسوم لمن يرابط، ويكون رباطه وغزوه جامعاً للشرائط الشرعية، حتى لو كان ذلك بعد مئات السنين..

والدليل على ذلك: أن مضامين الدعاء نفسه ظاهرة في أنه «عليه السلام» إنما يدعو لأناس هم غاية في التقوى والطهارة، وفي منتهى الصلاح والفلاح، ويرى أنهم مطيعون لله ولرسوله، عاملون بالأحكام الشرعية. وهم موضع رضى الله ومحبته، وأهل لكل لطف وكرامة منه تعالى، فلو كانوا برباطهم أو بجهادهم هذا عصاةً، ولم يراعوا أحكام الله وشرائعه لم يتحدث عنهم بهذا الأسلوب.

وذلك يؤكد على أن المقصود بالدعاء هو أولئك الأخيار الأبرار، الذين يحاربون مع الإمام العادل، أو أنهم يدافعون عن بيضة الإسلام

---

(1) قرب الإسناد ص345 و 346 والبحار ج97 ص62 و63 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص32 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص22 ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» ج2 ص411.

والمسلمين، لا عن بني أمية، ولا عن غيرهم من الظالمين والضالين..

وبتعبير أوضح وأصرح: هناك فرضيتان صحيحتان بالنسبة لهذا الدعاء.

إحديهما: أن يكون «عليه السلام» يريد أن يبين للمؤمنين كيفية الدعاء للمرابطين والمجاهدين، في كل زمان توفرت فيه شرائط المرابطة، وذلك حين يكون هناك حاكم عادل، إما الإمام أو نائبه الفقيه العادل، كما هو الحال في زماننا هذا.

الثانية: أن يكون الدعاء لأولئك الذين يحاربون دفاعاً عن الدين وأهله، حين يخشى على بيضة الإسلام، وعلى أهل الدين. سواء أحصل ذلك في زمان الإمام «عليه السلام»، أو حصل في زمن الغيبة، ولو بعد مئات السنين..

ومن يراجع مضامين الدعاء نفسه يجد صدق ما نقول، فلاحظ الفقرات التالية:

قال «عليه السلام»: «اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَحِزْبُكَ الْأَقْوَى.. الخ».

وقال «عليه السلام» في دعائه للغازي والمرابط: «وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ، فِيكَ وَلَكَ. فَإِذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ.. الخ..».

ودعا أيضاً: أنه إذا قضى الله بالشهاده أن تكون «بَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ».

وقال أيضاً: «اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ.. الخ..».

وقال: «اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الِاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ».

وقال: «وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ».

وقال: «حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلَا تُعَفَّرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ».

فإن كل هذه النصوص وسواها إنما تقرر كل ما ورد في تلك الروايات. وتدل على أنه «عليه السلام» يتحدث عن المرابطين الذين اجتمعت لهم شرائط صحة مرابطتهم، وغزوهم. وصحت نواياهم وغاياتهم، ويريدون برباطهم وجهادهم إقامة الدين في كل بقاع الأرض، حتى لا يعبد فيها أحد غير الله، ولا تعفر لأحد منهم جبهة دونه.. وليكون دين الله هو الأعلى، وحزب الله هو الأقوى..

أو يريدون برباطهم وجهادهم أن تأمن أطراف المسلمين ومنع العدو من تنقصها.. ودفع تحزب أهل الشرك عليهم، وعلى الإسلام.. ولا يريدون به الدفاع عن حكومة بني أمية، ولا عن غيرهم من

الضالين والظالمين..

وقد صرح الأئمة «عليهم السلام» بأن شرائط الرباط المشروع لم تكن متوافرة في عهدهم، كما أشار إليه الحديث المروى عن الإمام الباقر «عليه السلام» وغيره من الأحاديث..

فتلخص: أن المقصود هو بيان الدعاء المرسوم للمرابطين حين حضور الإمام العادل.

أو الدعاء للمجاهدين حين تصبح بيضة الإسلام في خطر، ولا بد لهم من الدفاع عن دينهم وعن المسلمين، لا عن أولئك الحكام..

دعاء أهل الثغور

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ، وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ، وَأَسْبِغْ عَطَايَاهُمْ مِنْ جِدَتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ، وَاشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ، وَاحْرُسْ حَوْزَتَهُمْ، وَامْنَعْ حَوْمَتَهُمْ، وَأَلِّفْ جَمْعَهُمْ، وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ، وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ

الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْإِدْبَارِ، وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ.

اللَّهُمَّ اقْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَامْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ.

اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلَا لِأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ.

اللَّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلَا تُعَفَّرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ.

اللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلَائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلًا فِي أَرْضِكَ وَأَسْراً، أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

اللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ مِنَ الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ وَالدَّيَالِمَةِ وَسَائِرِ

أُمَمِ الشِّرْكِ، الَّذِينَ تَخْفَى أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ.

اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَتَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الِاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ.

اللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَمَنَةِ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ، وَأَدْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الِاحْتِيَالِ، وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ، وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلَائِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ.

اللَّهُمَّ وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ، وَارْمِ بِلَادَهُمْ بِالْخُسُوفِ، وَأَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُدُوفِ، وَافْرَعْهَا بِالْمُحُولِ، وَاجْعَلْ مِيَرَهُمْ فِي أَحَصِّ أَرْضِكَ وَأَبْعَدِهَا عَنْهُمْ، وَامْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيمِ وَالسُّقْمِ الْأَلِيمِ.

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَحِزْبُكَ الْأَقْوَى وَحَظُّكَ الْأَوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الْأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الْأَصْحَابَ، وَاسْتَقْوِ لَهُ، الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ، وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ، وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ. وَأَثِرْ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَتَوَلَّهُ بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحِبْهُ السَّلَامَةَ، وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ، وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ، وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَاجْعَلْ

فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ، فِيكَ وَلَكَ. فَإِذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ، وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَلَا تُدِلَّهُمْ مِنْهُ، فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الْأَسْرُ، وَبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ.

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً، فَآجِرْ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلًا بِمِثْلٍ، وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ وَسُرُورَ مَا أَتَى بِهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ.

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِينَ، وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ، صَلَاةً عَالِيَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلَاةً لَا يَنْتَهِي أَمَدُهَا، وَلَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَأَتَمِّ مَا مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيدُ».

«الصحيفة السجادية ـ الدعاء السابع والعشرون»

حوزتهم، وامنع حومتهم، وألف جمعهم، ودبر أمرهم، وواتر بين مِيَرِهِمْ، وَتَوَحَّدْ بِكِفَايَةِ مُؤَنِهِمْ، وَاعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ، وَأَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ، وَالْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ، وَعَلِّمْهُمْ مَا لَا

الـلَّـهُمَّ صَلِّ عَـلَـى مُـحَمَّـدٍ وَآلِـهِ:

بدأ «عليه السلام» الدعاء الشريف بالصلاة على محمد وآل محمد، ليكون ذلك هو الوسيلة له لنيل مطلوبه، فإن إظهار الحب لمن يحبهم الله تبارك وتعالى، والتأكيد على طلب الرحمات، والمزيد من الفضل والكرامة لهم، من أهم وسائل جلب رضا الله تبارك وتعالى، واستنزال رحماته، ونعمائه، وفواضله، وإجابة دعوات عباده، وإنجاح مطالبهم..

وهذا يعطي: أن علينا أن نتأدب بهذا الأدب الرفيع مع الله سبحانه، ثم مع عباده، حين نريد أن نطلب منهم أمراً، أو أن نكلفهم بمهمة، خارج دائرة ما يجب عليهم..

كما أن هذه البداية توحي لنا: بأن قرار الحرب ليس رهناً بالرغبات البشرية، وإنما هو مرتبط بالله تبارك وتعالى، وله أبعاد معنوية وعبادية وعقيدية مختلفة.

ولذلك بدأ «عليه السلام» هذا الدعاء بخطابه مع الله تعالى متوسلاً إليه بتعظيم محمد وآله، الذين هم التجسيد الحي للإستقامة على طريق الحق، وهم الطريق الموصل إلى الله تبارك وتعالى..

وَحَصِّنْ ثُغُورَ الْمُسْلِمِينَ بِعِزَّتِكَ:

العزيز: هو المنيع الذي لا يغالب، ولا ينال.

والثغور: هي المواضع التي يخاف منها هجوم العدو، والحد الفاصل بين المتعاديين.

بدأ «عليه السلام» بالحديث عن التحصين، لأن الأساس في الإسلام هو السلام وعدم العدوان. وهو يفرض منعة وحصانة، تمنع العدو من التفكير في العدوان.. ولكن إذا فرضت الحرب على أهل الإيمان ظلماً وبغياً من عدوهم عليهم، فلا بد من التحول إلى حالة الهجوم الذي يسقط إرادة الحرب لدى العدو، وذلك على قاعدة: «اغزوهم من قبل أن يغزوكم».

وإن تحصين ثغور المسلمين بالعزة الإلهية.. يعني: المزيد من القوة والعزم لدى أهل الإسلام، والمزيد من الشعور بالخيبة والفشل لدى العدو، حيث يتأكد له عجزه عن النيل من تلك الثغور، بل ربما يتبلور لديه شعور بأن الله هو الحامي لتلك الثغور، والدافع عنها.. فإن

العدو حتى لو كان مشركاً، فإن شركه لا يعني إنكاره للتأثير الإلهي في مسار الأمور، ولا يمنع من الشعور الفطري بالرهبة من الغيب الذي لا يمكنه إثبات عدمه..

وهذا يؤسس لجعل العدو يشعر باليأس من قدراته المادية مهما بلغت.

كما أن العدو إذا كان لديه أدنى شعور بوجود الله فإن ذلك يطل به على الإحساس بالبعد عن رضا الله تبارك وتعالى، ويسلمه إلى الشعور بالخزي والعار، حين يرى نفسه في موقع المحارب لله جل وعلا.. وذلك يدخل الفشل والهزيمة إلى نفسه..

وينتج من ذلك: تحقيق معنى الردع، الذي يعني: منع العدو من المباشرة بعدوانه.

كما أنه يعطي أنه لا بد من التحصين، وإزالة مواضع الضعف.

وهو ما يؤكد أيضاً مفهوم الدفاع الثابت عن الأرض.. ومن مظاهر ذلك إظهار المنعة للحصون، وتعزيزها بالقوة اللازمة مادياً، ومعنوياً.

وَأَيِّدْ حُمَاتَهَا بِقُوَّتِكَ:

ونستفيد من هذا المقطع لزوم التحصين للثغور إلى الحد الذي تصبح معه منيعة لا تنال بسوء، ولا يجرؤ أحد على التعرض لها بمكروه..

وهذا التحصين يكون في اتجاهين:

أحدهما: يؤدي إلى أن يعرف العدو أنه في تعرضه لتلك الحصون إنما يغالب الله..

وتحقيق هذه المعرفة لدى العدو يحتاج إلى جهد عملي، يؤدي إلى ظهور ذلك عملياً، وجهد إعلامي من شأنه أن يوصل العدو إلى هذه القناعة..

الثاني: إمتلاك القوة الحقيقية، التي تستند إلى امتلاك الوسائل من جهة، وظهور ما يدل على أنها قوة مصدرها الارتباط بالله، والفوز برضاه من جهة أخرى..

وَ أَسْبِغْ عَطَايَا هُمْ مِنْ جِدَتِكَ:

ولنا أن نستفيد من هذه الفقرة: لزوم التوسعة على المجاهدين، وكفايتهم من الناحية المعيشية، حتى يكون همهم في قتال العدو هماً واحداً[1] كما روي عن علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولا ينازعهم التفكير بأي شيء من حاجات الدنيا، ولكي لا يتمكن العدو من اختراقهم مستفيداً من معاناتهم المادية..

وهذا يعطي: أن الدولة تحتاج إلى قدرات ومصادر إقتصادية،

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص92 وتحف العقول ص133 ومستدرك الوسائل ج13 ص164 والبحار ج33 ص604 وج74 ص248 ونهج السعادة ج5 ص77 وشرح النهج للمعتزلي ج17 ص51 وأعيان الشيعة ج1 ص547.

وثروات تكفيها للإنفاق على الجند، وتأمين رواتبهم وحاجاتهم، لأنه «عليه السلام» يطلب من الله أن يوفر لهم ذلك من موقع الوجدان والغنى.. وحصول ذلك بأسبابه الطبيعية، يعني توفير المصادر المنتجة باستمرار أيضاً.. وبذلك تتحقق الواجدية والغنى..

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَكَثِّرْ عِدَّتَهُمْ:

وتشير هذه الفقرة: إلى لزوم توفر الكثرة في عدد الجنود.. فإن تأمين العديد الكافي مما لا بد منه في الحصول على القدرة القتالية اللازمة..

وينبغي أن يكون توفر هذا العدد في الجبهات بصنع إلهي، أي أن يكون حب الله، والكون في موقع طاعته ورضاه، هو الذي دفعهم للحضور في ساحات الجهاد والدفاع، ولأجل ذلك نسب تكثير عدتهم إلى الله تعالى..

وهذه ميزة هامة يمتاز بها الإسلام، الذي يريد أن يكون الجهاد عبادة قوامها قصد القربة. ولا يكون كذلك إلا إذا وجد الداعي، وهو التقرب إلى الله تعالى..

أما إن كان الداعي هو الدنيا، فإن أي شيء يصيب الغازي والمرابط حتى الجراحة، فضلاً عن الشهادة سوف يجعله يشعر بالغبن والخسارة..

والله يريد أن يثيبهم على جهادهم، وأن يدخلهم الجنة بنيلهم مقام الشهادة، وبدون القربة إلى الله تعالى يكون قتيلاً لا شهيداً، ولا يستحق

أية مثوبة على ما أصابه من تعب وعناء، وما واجهه من مصاب وبلاء..

وَ اشْحَذْ أَسْلِحَتَهُمْ :

وفي هذه الفقرة دلالة ظاهرة على لزوم توفر السلاح، فإن وجود السلاح الفعال عنصر هام في تأمين القدرة القتالية المطلوبة.

كما أنها تضمنت إشارة إلى لزوم كون السلاح فعالاً ومؤثراً، وجاهزاً وصالحاً للإستعمال في كل لحظة..

وَ احْرُسْ حَوْزَتَهُمْ :

ثم أشار إلى لزوم الحراسات واستمرارها، واليقظة الدائمة، لكي لا يأخذهم عدوهم على حين غرة منهم.

وَ امْنَعْ حَوْمَتَهُمْ :

ولا بد أن تكون الدائرة التي يكون المقاتلون فيها، ويحام حولها منيعة وحصينة، بحيث لا يتمكن العدو من الوصول إليها، فضلاً عن أن يتمكن من اختراقها، فإن التحصينات الصحيحة، والأعمال الهندسية اللازمة مما لا بد منه في تأمين القدرة القتالية المطلوب توفرها..

وَ أَلِّفْ جَمْعَهُمْ :

ولا بد أيضاً من أن تكون هناك رابطة وعلاقة ألفة ومحبة بين المرابطين، لأن طبيعة الحرب تثير لدى المرء شعوراً بأنه مستهدف كفرد، في نفسه وفي بدنه، فلا بد من أن يتبلور لدى المجاهد إحساس

بالقوة من خلال انضمامه للآخرين. وأن من الممكن أن تؤثر قوة الجماعة في الدفع عنه..

وقد ألمحت هذه الفقرة إلى أن محبتهم وألفتهم له سوف تدعوهم للتفكير في كل فرد منهم، وإنجاده إذا احتاج إلى ذلك بفضل نجدة وقوة، قد تكون متوفرة لديهم..

أما إذا لم تكن بينه وبين سائر المرابطين أية ألفة، فسيرى أنه ـ كفرد ـ مستهدف من عدو، هو جماعة، وهو يشعر أن جميع أفراد أعدائه لن يرحموه لو صادفوه، ويشعر كفرد بالعجز عن مواجهة الجماعة، وبذلك يكون قد وقع بالفشل، والهزيمة النفسية.. ويصير كل همه الدفع عن نفسه، لا الدفع عن الثغر، ولا عن الأمة..

وَدَبِّرْ أَمْرَهُمْ:

ولحسن التدبير دور أساس في نجاح العمل العسكري، لأن أي اختلال في التدبير قد تكون نتيجته ظهور ثغرة للعدو يستطيع النفوذ منها، أو قد ينتج عنه ضعف في الأداء العسكري حين المواجهة، أو فقدان الإحساس بالثقة في حصانة سائر الجهات، التي لا بد من الطمأنينة لحصانتها، ليمكن الإندفاع الحاسم لتسديد الضربات القاصمة للعدو، بشجاعة، وحزم، وثبات، ومن دون أي قلق أو خوف من اختراق أية جهة.

وَوَاتِرْ بَيْنَ مِيَرِهِمْ:

ولا بد من اطمينان المقاتل لوجود ما يحتاج إليه مما تقوم به

حياته، ولا سيما الطعام.. وأن يرى أنه يصل إليه بصورة متتابعة وبلا انقطاع، سواء من جهة فقدان عوائق الوصول. أو من جهة توفره بكثرة، وعدم وجود نقص في مصادره.

وبدون ذلك، سوف يتنازعه عاملان، كل منهما يستهدفه بشخصه كفرد:

أحدهما: شعوره بأن العدو متربص به.

والآخر: الخوف من فقدان ما يحتاج إليه لإقامة صلبه، وبقاء حياته..

وتتوزع اهتماماته في هذا الحال.. ولا تتمحض إرادته، وهمَّته في دحر عدوه، بل سوف تستأثر لقمة العيش بجانب من تفكيره واهتماماته، فإذا وجد أن الميرة متواصلة ـ وهي الطعام الذي يدخره الإنسان ـ فإنه يطمئن إلى وجود المدخرات، وعدم وجود ما يعيق وصولها..

فظهر أن تواصل وصول ما يحتاج إليه فعلاً من الميرة مهم جداً في انصراف همته إلى الجهاد، وتمحضها في دحض العدو.

وفي نسخة الكفعمي: وأثر بالثاء أي من قولهم: استوثرت من الشيء، إذا استكثرت منه[1].

وَتَـوَخَّدْ بِـكِفَـايَـةِ مُـؤَنِـهِمْ :

وقد طلب «عليه السلام» أن تكون المؤن ـ وهي الثقل المتضمن لما يحتاجون إليه في ظعنهم وإقامتهم ـ كافية للجيش. فلا نقص في أي

---

(1) نور الأنوار ص234.

من مفرداتها، فلا يكون هذا النوع متوافراً، وذاك النوع غير متوفر، أو أنه ليس بدرجة الكفاية لهم. فإن هذا يوقعهم بالإرباك، ويجعلهم يبحثون عن بدائل تسد النقص، وتدفع العوز.

وقد طلب «عليه السلام» من الله أن يتوَّحد في ذلك، أي أن يتولى كفاية مؤنهم وحده، من حيث توفير مناشئها، وتكثير الثروات والمؤسسات المنتجة لها، ليكون الغازي والمرابط أكثر اطمئناناً لحصولها.

بخلاف ما لو كان يراد الحصول على كفاية المؤن من خلال عقيدة الشرك، فإن الشرك لا بد أن يوقع المقاتل في التناقض مع ذاته، ومع فطرته، وعقله، ويجعله أكثر قلقاً على مصيره، وعلى ما تقوم به حياته.. من حيث إنه يرى عجز الشركاء عن فعل أي شيء، بالإستناد إلى قدراتهم الذاتية..

ثم إنه «عليه السلام» طلب أن يتوفر لهم بعد دخولهم في المعركة أمور، تفرض الوقائع توفرها، فلاحظ ما يلي:

وَ اعْضُدْهُمْ بِالنَّصْرِ:

أي قوِّ عضدهم ـ والعضد: هو العظم الذي يصل المرفق بالكتف ـ بالنصر، فيكون النصر الذي يهيؤه لهم سبباً في قوة عضدهم، الذي هو السبب القريب في قوة الضربة، والعنصر الهام في تأثيرها..

والتقوية بالنصر هي أفضل مفردات المعونة، حيث إن النصر يعين من جهتين، فهو من جهة يعطي للمنتصر المزيد من الشجاعة

والإقدام، ويثير حماسته لمقارعة الأعداء.. ومن جهة أخرى تكون هزيمة العدو في الميدان ضربة لتماسك العدو الروحي، وسبباً في فشله، وبوار جهده، واضطراب تدبيره.

وَ أَعِنْهُمْ بِالصَّبْرِ:

وللصبر دوره الكبير في توطين النفس على تحمل الأذى الجسدي، وبذل الجهد في مواضع تزيد فيها المشقات، وتكثر المتاعب، ففي الحرب حركة، وجهد، وسهر، وعطش، ومخاطر، وغير ذلك.. كما أن فيها جراحاً، واستشهاد أحبة، وابتلاءات كثيرة ومتنوعة.. وكلها تحتاج إلى الصبر..

فيحتاج المقاتل إلى الصبر ليعينه على تحمل ذلك.. وهذا يحتّم وضع الخطط المؤثرة في رفع مستوى درجة التحمل عنده.

وَ الْطُفْ لَهُمْ فِي الْمَكْرِ:

وفي الحرب مناورة، وتخطيط، ومكر، وابتداع الخدع للعدو، وذلك يحتاج إلى فكر، ودقة نظر، واستنباط خطط، وإختراع وسائل وأساليب خفية، للإيقاع بالعدو من حيث لا يشعر، وقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: الحرب خدعة[1].

---

(1) المغني لابن قدامة ج10 ص396 وكشف القناع ج3 ص79 وسبل السلام ج4 ص48 ونيل الأوطار ج8 ص56، فقه السنة ج2 ص654 وتهذيب الأحكام ج6 ص162 والوسائل (ط دار الإسلامية) ج11 ص102 ومستدرك

وفي التعبير بكلمة: «الطف لهم» إلماحة إلى لزوم كون المكر يدق عن الفهم، لأجل لطفه، حيث يبلغ به هذا اللطف حداً يجعله يخفى على العدو، فلا يتمكن من اكتشافه..

وهذا يدل على جودة المكر وإتقانه..

الوسائل = = ج11 ص103 وشرح الأخبار ج1 ص297 وكنز الفوائد ص266 وأمالي الطوسي ص261 والخرائج والجرائح ج1 ص181 ومسند أحمد ج1 ص126 و 131 وج2 ص312 وج3 ص224 و 308 وعن صحيح البخاري ج4 ص24 وعن صحيح مسلم ج5 ص143 وسنن ابن ماجة ج2 ص945 وسنن أبي داود ج1 ص593 وسنن الترمذي ج3 ص112 والسنن الكبرى للبيهقي ج7 ص40 وج9 ص150 ومجمع الزوائد ج5 ص320 وصحيفة همام بن منبه ص26 والمصنف للصنعاني ج5 ص398 ومسند الحميدي ج2 ص519 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص729 و 730 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص193 ومسند أبي يعلى ج3 ص359 و 464 وج4 ص91 و 384 وج8 ص44 وج12 ص130 والمنتقى من السنن المسندة لابن الجارود النيسابوري، وصحيح ابن حبان ج11 ص79 والمعجم الصغير ج1 ص17 والمعجم الأوسط ج2 ص356 وج4 ص252 والمعجم الكبير ج3 ص82 وج5 ص136 وج11 ص293 وج18 ص53 وج19 ص42 ومسند الشاميين ج1 ص176 وج2 ص20 و 108 ومسند الشهاب ج1 ص40 و 41 و 42 وشرح النهج للمعتزلي ج2 ص279 وج15 ص32 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص447 وفتح الباري ج7 ص309 وإمتاع الأسماع ج1 ص243.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَعَرِّفْهُمْ مَا يَجْهَلُونَ:

والإستطلاع التام، والحصول على المعرفة الدقيقة بتحركات العدو، وتدبيراته، ونواياه وخططه، والوقوف على كل ما يرتبط بمهمتهم القتالية، أو الوقائية، سواء ما يتعلق منها بأساليب التخفي، أو بالخطط القتالية، وكيفية سدّ الثغرات، أو الإطلاع على الثغرات التي يخشى من نفوذ العدو منها، وكذلك الثغرات، التي يمكن أن يستفاد منها لإلحاق الهزيمة بالعدو كما لا بد من معرفتهم بأهداف العدو، وبعواقب تسلطه على أهل الحق.. فإن كل ذلك مهم جداً في نجاح مهمتهم..

وهو يحتاج إلى إنشاء أجهزة قوية ومقتدرة، تستطيع أن تقوم بالمهمة على أتم وجه.

كما أن لنشاط الإعلام الحربي في إعداد العناصر روحياً ومعرفياً أثر كبير في هذا المجال..

وَعَلِّمْهُمْ مَا لَا يَعْلَمُونَ:

ثم إن هناك حاجة حقيقية إلى الإطلاع على الوقائع بتفاصيلها وجزئياتها.. وهذا ما اشير إليه آنفاً بقوله: «وعرفهم ما يجهلون..»؛ لأن المعرفة إنما تكون في الجزئيات، فإذا توفرت هذه المعرفة يأتي دور العلم الحربي، بالإستفادة من الضوابط والقواعد العامة، التي تعطي القدرة على الهيمنة وفق النظريات الصحيحة.

فيُعَالَج ـ وفق النظريات الصحيحة ـ ما يحتاج إلى المعالجة، ويستفاد من القدرات المتوفرة في سياقات بلورة الخطط، وفق الضوابط والمعايير العلمية..

والعلم إنما يكون بالكليات الحاكمة، والمهيمنة، التي تستفيد من المعارف بالجزئيات والتفاصيل في بلورة موقف عام، تضبط وتنسجم به التحركات في مسارها العام في سياق الوصول عملياً إلى الأهداف الكبرى المتوخاة..

ومن هنا يظهر السبب في تقديم طلب المعرفة، على طلب العلم، مع التأكيد على أن العلم بتلك الضوابط والكليات هام وأساسي جداً..

وَبَصِّرْهُمْ مَا لَا يُبْصِرُونَ:

قال تعالى: **(وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)**[1]. والإبصار هو التحقيق الزائد، والنظر الدقيق لغرض ما، ونتيجته حصول المعرفة والعلم.. والحصول على ابتكارات تنتج بالنظر الدقيق، واستنتاجات ولفتات إلى تدبيرات يعدُّها، أو يمكن أن يعدَّها العدو. فيبادر أهل الإيمان إلى العمل على إبطالها، وحرمانه منها.

وهذه هي إحدى ثمرات التحقيق الزائد، والتبصر بالأمور، وتعمد إبصار ما لا يبصره الناس في أحوالهم العادية لشدة خفائه.. أو لاحتياجه إلى مقدمات خفية..

---

(1) الآية 198 من سورة الأعراف.

ونستطيع أن نقول:

إنه «عليه السلام» قد أشار في هذا الفصل إلى الحاجة إلى تأمين القدرة القتالية اللازمة.. والتي تتمثل بأمور مادية، مثل: العديد الكافي، والسلاح، والتجهيز، وتأمين الحاجات المختلفة، كوسائل النقل وغيرها، وإعداد التحصينات، والأعمال الهندسية، والدفاعية. وتحضير ساحة العمليات وإعدادها بما تحتاجه الأنشطة العسكرية المختلفة، وما إلى ذلك..

كما أن القدرة القتالية تحتاج بالإضافة إلى ذلك إلى أمور كثيرة، مثل: الدافع العقائدي، والمعنويات، والعلاقات الحميمة بين المقاتلين، والإيثار، والتخطيط السليم. والتوقعات لما يمكن أن تكون عليه حركة العدو.. والتوجيه، والتدريب المناسب لظروف المعركة. والتحمل، والصبر، والإبتكار للأساليب التي لا يتوقعها العدو. والإستطلاع الكافي، والحصول على المعلومات عن تحركات العدو، وكل شؤونه بصورة متواصلة..

الفصل الثاني:

في المواجهة

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ، وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ، وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَلَوِّحْ مِنْهَا لِأَبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ وَالْحُورِ الْحِسَانِ وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ وَالْأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ حَتَّى لَا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْإِدْبَارِ، وَلَا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ»..

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْسِهِمْ عِنْدَ لِقَائِهِمُ الْعَدُوَّ ذِكْرَ دُنْيَاهُمُ الْخَدَّاعَةِ الْغَرُورِ:

إن أكثر وأشد ما يشعر الإنسان بذاته هو حين يجد شخصه مستهدفاً، وحياته في خطر، لأن الإستهداف إنما هو لهذه الصلة القائمة بين الإنسان وبين الدنيا، حيث يسعى العدو إلى قطعها..

فالحفاظ على هذه الصلة، يدعو الإنسان للتراجع والتخلي عن القتال. في حين أن استراتيجية القتال تقوم على نسيان هذه الصلة، والتخلي عنها.. أو على الأقل عدم المبالات بها..

ولا يكون هذا التخلي إلا بأحد أمرين:

أولهما: إدراك أن حفظ هذه الصلة غير منطقي، من حيث أنها غير واقعية، لأنها قائمة على أساس الخداع المتواصل له من قبل الدنيا، والغش المتعاقب منها له، مرة بعد أخرى.

الأمر الثاني: تقديم البديل.

أما بالنسبة للأمر الأول، فلا بد من إدراك حقيقة الخداع المتواصل للدنيا أولاً، ثم إدراك الغش المتعاقب ثانياً.

وذلك يحتاج إلى إعلام قوي وحاسم في هاتين الناحيتين، قادر على كشف هذين الأمرين، وإقناع المقاتل بهما.

وربما يكون الخداع باتخاذ أوضاع تظهر خلاف الواقع، فقد يظهر القوة من ليس بقوي، أو يظهر الضعف من ليس بضعيف، وقد يظهر الغنى، وهو فقير، أو الفقر، وهو غني، أو يظهر الغفلة، وهو متيقظ، أو العكس، وقد يظهر المرض، وهو صحيح، والعكس.. وهكذا.

وكل ذلك من أجل أن يوقع الطرف الآخر في الشرك، ويلحق به الخسارة، ويورد عليه ضربته.

وما أكثر هذه الظواهر الخداعة في الدنيا، الموجبة للوقوع في العناء والبلاء.. فإن الدنيا «غَرُور» بصيغة المبالغة. أي أنها كثيراً ما تظهر للإنسان أحوالاً يظن معها أنه سيحصل على مغانم كبيرة، ثم يكتشف أن ما ظنه لا واقع له، بل هو: **(كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)**[1].

فما يتمناه الإنسان من الخلود والبقاء، ومن الغنى، ومن الوصول إلى كل ما يشتهيه، ويحقق به السعادة والسكينة والرضا لنفسه لا يحصل عليه في أي حال..

ولأجل ذلك ترى أنه كل ما وصل إلى شيء وجد في نفسه

---

(1) الآية 39 من سورة النور.

الحاجة إلى غيره.. ولا تحصل له السكينة، ولا يجد الغنى ولا الرضا به..

فلا بد لهذا الإعلام من أن يضع الخطط لكي يقنع المقاتل بهذه الحقائق، وأن يعمل على أن ينسي الغازي والمرابط هذه الدنيا، ويبعدها عن آفاقه، ويبعده عن التفكير بزخارفها..

وَامْحُ عَنْ قُلُوبِهِمْ خَطَرَاتِ الْمَالِ الْفَتُونِ:

ويلاحظ: أن المال وإن كان من جملة حطام الدنيا، ووسائل خدعها، وغرورها، إلا أن الإمام «عليه السلام» قد نص عليه بخصوصه. وذكر أن المطلوب هو محو خطراته من القلوب. ووصفه بأنه فَتُون (أي كثير الفتنة للناس)، وقد ورد في القرآن الكريم: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)**[1].

وقد دلت هذه الفقرة من الدعاء، على أن مجرد الهاجس والأمل المخادع بالحصول على المال، بل خطور ذلك للإنسان بصورة متعاقبة يكفي لحصول الإفتتان المؤدي للإنحراف عن المسار الصحيح..

وهذا يعني: حاجة الإنسان دائماً ومهما بلغ من علو المقام والدرجة إلى الإستمرار في مراقبة نفسه، وإلى استمرار إتحافه بالألطاف الإلهية..

---

(1) الآية 28 من سورة الأنفال.

ومحو الخطرات عن القلوب يحتاج إلى جهد تربوي كبير، وإلى وسائل فاعلة ومؤثرة في ذلك..

ومعنى ذلك: أن العمل الإعدادي لحماة الثغور صعب وشاق، ويجب أن لا يقتصر على العلوم الحربية، والتدريب العسكري، وما إلى ذلك.. بل لا بد أن يكون شاملاً، ومتوازناً..

ويجب أن يكون المرابطون ذوي مواصفات روحية عالية، لأنهم نخبة غير عادية.

والإغراء بالمال هو مفتاح شراء الضمائر، وبه تتحقق فتنة الإنسان عن دينه، وعن الحق، ولأن خطراته على القلوب، كما أن تنامي ذلك إلى حد صيرورته هاجساً يراود القلب من وقت لآخر، يهيئ الإنسان للإفتتان به، ولا سيما مع توفر الفرصة للخطرات، التي تصادف خلوة وفراغاً في المرابطة التي يطول أمدها، فيعاود الخاطر القلب مرة بعد أخرى، حتى تتحقق الفتنة بالمال، ثم يكون التحول إلى مسارات بعيدة عن المسار الصحيح، الذي يفترض أن يكون المجاهد المرابط عليه وفيه.

ويلاحظ: وصف المال بكلمة «الفتون»، التي هي صيغة مبالغة أيضاً، في إشارة إلى استمرار فتنته وتواصلها كلما التفت إليه الإنسان، أو مر في خاطره.

وكما أن المال يفتن الإنسان عن الحق، فإنه يفتنه عن الآخرة، ويزيد تعلقه في الدنيا، وحب البقاء فيها، لأنه يريد أن يكون حارساً

للمال.

ولكن ليس من ديدن الإسلام الرفض والإعتراض، وتسجيل التحفظات والتخطئة.. وحسب.. بل هو يخطئ ويصوب في آن واحد، وهو يردع عن هذا هنا.. ثم يقدم البديل الأمثل والأفضل هناك. فلا يترك الإنسان في فراغ..

وهذا ما تلاحظه هنا أيضاً، فإن الفقرات التالية قد صرحت بالبديل، فهي تقول:

وَاجْعَلِ الْجَنَّةَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ:

ومن الواضح: أن جعل الجنة نصب أعين المقاتلين، يحتاج قبل كل شيء إلى تحصيل اليقين بها، وبمفردات عقائدية كثيرة تؤسس لهذا اليقين، وتؤكد ثباته وتحفظ له نقاءه وصفاءه..

وهذا يعطي: أن على هؤلاء المقاتلين أن يكونوا على درجة كبيرة من الوعي العقائدي العميق، المستند إلى الأدلة الواضحة، والبراهين اللائحة من جهة، وأن يبذلوا الكثير من الجهد التربوي والروحي، القادر على إحداث تغيير أساسي في البنية النفسية والروحية، وفي خصائص الإنسان وميزاته من جهة أخرى..

ولا يكون ذلك إلا بممارسة طويلة ومؤثرة للعبادات، والرياضات الروحية. والتصفية والتزكية، والتركيز عليها..

وكل ذلك يحتاج إلى إعداد برامج تربوية، وثقافية، وعبادية، من شأنها أن تحقق هذه النتائج، إذ ليس من السهل أن يبلغ الإنسان حداً

تصبح الجنة فيه نصب عينيه.

إذن، فليس كل عالم بفنون الحرب، مدرب على السلاح، يصلح لأن يكون من حماة الثغور.. بل هناك أمور أخرى لا بد أن تتوفر في الغازي والمرابط..

ولعل المقصود من جعلها نصب عينيه: أن تكون هي الهدف الذي يتمحض كل سعيه فيه. وينصبُّ كل جهده على العمل الموصل إليه.. وهذا الهدف لا بد أن يكون لدى كل مقاتل بشخصه، فلا يكفي مجرد الإيمان بالجنة، ولا الإعتقاد بوجودها.. بل لا بد أن تصبح بحيث يراها أمام عينيه. ولا تكون غائبة عنه..

وهذا بنفسه يمثل داعياً له إلى المبادرة إلى ساحة الجهاد، من دون حاجة إلى تحريض من أحد.. بل المحرض موجود في داخل نفسه. يحرضه بوجوده العيني، وبالمشاهدة المتواصلة له، ولذلك قال: «نصب أعينهم»، فإن هذا أقوى في التحريك من كل شيء.

وَلَوِّحْ مِنْهَا لأبْصَارِهِمْ مَا أَعْدَدْتَ فِيهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْخُلْدِ وَمَنَازِلِ الْكَرَامَةِ:

ولا بد من بذل الجهد ثقافياً وتربوياً إلى الحد الذي يجعل المرابط المجاهد يعيش نعيم الجنة وكأنه حاضر أمامه، ويبدأ ذلك بإيصاله إلى مرحلة تحصل فيها النفس قبل كل شيء على ما هي الأحوج إليه، ألا وهو السكون في مقابل القلق. فإن الإنسان يعيش القلق على نفسه في بقائها، فيحتاج إلى السكون في هذا الأمر بالذات. فيأتيه السكون ليس

إلى مجرد الإستمرار والبقاء، بل إلى ما فوق ذلك أيضاً، وهو الخلد الذي هو غاية طموح الإنسان..

واختار الإمام «عليه السلام» الحديث عن سكنى الخلد لا عن جنات عدن مثلاً، ربما ليفيد أن في تلك المساكن خصوصية تفهم الناس بأن الخلد حاصل فيها، وقد جاء في زيارة الإمام الحسين «عليه السلام»: «أشهد أن دمك سكن في الخلد»[1].

وهذه الخصوصية تفهم بمجرد رؤية تلك المساكن، بل بمجرد لمحها حين يلوَّح للإنسان بها أمام بصره..

والتعبير بالأبصار ربما ليفيد: أن إدراك هذا المعنى ناشئ من إجراء معادلة فكرية توصل إلى ذلك. لأن الإبصار هو الإدراك الناشئ عن ذلك..

وهذا الخلود ليس مملاً، ولا يمثل عبئاً على النفس، وليس هو خلود إهمال، وخمول، وانكماش، ونسيان، وغياب عن الذاكرة. بل هو خلود فاعل، وحي. ومناقض لذلك كله. إنه خلود فيه انتعاش وامتداد، وفيه كرامة وسؤدد.

---

(1) الكافي ج4 ص576 وكامل الزيارات ص364 ومن لا يحضره الفقيه ج2 = = ص595 وتهذيب الأحكام ج6 ص55 والوسائل (ط دار آل البيت) ج14 ص491 و (ط دار الإسلامية) ج10 ص383 والبحار ج98 ص152 و 266.

ولذلك طلب أن يلوح لأبصارهم ما أعده في الجنة لهم من منازل الكرامة، مما يعني أنه بمجرد أن يلمح البصر تلك المنازل والدرجات، فإنه يجد خصوصية تبين له معنى الكرامة فيها. فمنازل الكرامة ليست كسائر المنازل..

كما أن للكرامة درجات ومراتب، فلكل منزل درجته الخاصة به. وميزاته التي تُظهر تلك الدرجة..

ولعله يريد «عليه السلام» أن يكون ذلك على سبيل الكشف والمشاهدة، ولو بصورة التلويح العابر.. فإن هذا المقدار يكفي ليدركوا بذلك مقامهم عند الله، ورعايته تعالى لهم. ولذلك لم يقل: عرفهم ذلك، بل قال: «لوح لأبصارهم».

وَالْحُورِ الْحِسَانِ:

وبعد أن قدم «عليه السلام» لهم الحديث عن اللذات المعنوية الروحية، عطف عليها لذات الجسد، بدءاً بلذة النظرة الأولى للجمال، المتمازجة مع الإندفاع الغريزي، فذكر الحور الحسان، حيث لذة الغريزة الجنسية إذا زينها الجمال حين يلوح للرائي، فإنه سوف يشتاق إليها، ويسعى لتجاوز كل الموانع، وقطع كل المسافات للوصول إليها.

وَالأنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ بِأَنْوَاعِ الأشْرِبَةِ:

وبما أن أخشى ما يخشاه الإنسان بعد تجاوز عقدة الخوف على صلته بالدنيا، هو المتاعب والمشقات التي تواجهه، خصوصاً ما

يتعلق منها بفقدان الماء، ومعاناة العطش، فإنه «عليه السلام» طلب من الله تعالى: أن يريه بأم عينيه ما يدفع هذا الخوف، ويؤمِّن له الإرتواء التام مرة بعد أخرى.

ثم زاد على ذلك أن ذكر أن مصدر هذا الإرتواء متواصل ومطرد، فلا خوف من الإنقطاع، وبغزارة لا يحتمل معها النقص عن مقدار الحاجة..

فهي أنهار في كثرتها وغزارتها، وهي مطردة ومتواصلة.

ثم هي في تنوعها تعطيه القدرة ليس فقط على التلذذ بها، وإنما توفر له أنواعاً من التلذذات التي لا يحتمل معها الملل، الناشئ من الإعتياد على نوع واحد. ولذلك كانت مطردة بأنواع الأشربة..

فلا بد إذن، من إيجاد الوسائل التي تقنع المرابط المجاهد بأن الأمور لا تخرج عن هذا السياق..

وَالأَشْجَارِ الْمُتَدَلِّيَةِ بِصُنُوفِ الثَّمَرِ:

ولا يقتصر الأمر على الأشربة، وأنواعها.. بل هو كذلك أيضاً بالنسبة للمأكولات.

وقد اختار «عليه السلام» الحديث أولاً عن الأشجار، دون النباتات، فإن الأشجار قادرة على حمل الكثير والكبير، وهي ترمز إلى الثبات والبقاء، والإستمرار بخلاف النباتات، فإنها توحي بالتلاشي والضعف، فتحتاج إلى التجدد المتواصل الذي قد تضعف الأسباب عنه، أو قد لا تتوفر له في بعض الأحيان..

فالأشجار تعرض أمام أبصار المجاهدين، ويتلمحونها متدلية أمامهم بصنوف الثمر، التي توحي بتنوع الطعوم، تبعاً لتنوع الثمار..

أما التعبير بكلمة صنوف، بدل كلمة أنواع.. فلعله ليفيد أن الجميع من نوع واحد، وهو ما تثمره تلك الشجرة، وإن كانت ثمرتها صنوفاً متعددة، أي أنه اعتبر الشجرة نوعاً واحداً، واختلاف الثمار إنما هو باختلاف أصنافها، فالشجرة الواحدة تحمل صنوفاً مختلفة من الثمر، تماماً كما تحمل الشجرة الواحدة بعد تلقيحها لوزاً وكمثرى، أو أصنافاً مختلفة من التين، أو غيره..

حَتَّى لا يَهُمَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالإِدْبَارِ:

وكل هذا الذي يلمحونه، أو يلوَّح لهم به، أو يرونه نصب أعينهم.. لا بد أن يثمر ثباتاً واستبسالاً في مواجهة العدو. فإن الإدبار عنه معناه تفريط بالخلود الذي تطمح تلك النفوس إليه، ولا سيما إذا كان مع هذا الخلود كل هذه الأحوال، والنعم، والعطايا، حيث يكون الإدبار عنه انتكاسة إلى الشقاء، والحرمان، والعناء، والنقص، والأذى.

فالمنطق، والفطرة، والحكمة تدعوه إلى التصلب والإقدام، وعدم التفريط بالفرصة. لا سيما مع المعاينة والشهود الواعي.

والمطلوب: أن يكون الجميع على هذه الوتيرة، وبمستوى واحد في هذا الوعي والوضوح، والتصميم.

فلا بد من التأكد من واقع هؤلاء المقاتلين، ومستوياتهم. والتدقيق

في اختيارهم، وفي استمرار هذه الحالات فيهم، فإن أي خلل يتسرب إلى واحد منهم قد تكون له تداعيات غير محمودة على الجميع.

وَلا يُحَدِّثَ نَفْسَهُ عَنْ قِرْنِهِ بِفِرَارٍ:

وحين تكون المبارزة للقِرن هي الذروة والفيصل، فمن الطبيعي أن تحدث لدى المقاتل عملية موازنة بين قدراته وقدرات قرنه، ويرجع إلى دنياه، وتحضر نفسه أمام ناظريه، ويتجسد لديه أن قرنه يسعى ليقطع صلته بها.. مع ملاحظة: أن الإنسان يتلمس قدراته بصورة حقيقية وحضورية، أما قدرات عدوه فهو يدركها بضروب من التخيل والإفتراض، لأنها محجوبة عنه، ومن الطبيعي أن يتوهما أكبر وأكثر مما هي عليه..

وذلك مما يثير القلق لديه ويدعوه للتردد والإنكفاء، ولكن معاينته لما يعطاه من الخلود، وما يناله في جنات الله يرفع نقائصه، ويلبي حاجاته، بل ويشبع غرائزه وشهواته، وسيجعل هذه الموازنة غير ذات جدوى في إضعاف عزيمته، ونقض تصميمه على المواجهة والثبات، بل يصير كل همه هو أن يعمل بواجبه الذي يرى أنه ينيله ما عاينه، إن عاجلاً فيما لو كانت الغلبة لقرنه عليه، أو آجلاً لو كان هو المنتصر على قرنه.

وقد لخص ذلك بعض العارفين بهذا الشأن على النحو التالي:

إن القدرة القتالية التي يتم إعدادها تتعرض أثناء الحرب للتآكل والتفتت، وتحتاج إلى ترميم دائم.. فكانت الوقفات التعبوية هي الحل

والعلاج..

ولكن الإسلام أراد أن يكون التجديد ذاتياً، تنتجه نفس المعركة، من خلال الحيوية التي ينتجها الوعي والإيمان، والتوهج المشاعري والروحي، حيث إن كل مقاتل يرى الهدف وينطلق نحوه بصبر وثبات، وثقة، وصلابة، وتصميم..

ومن الواضح: أن إرادة الفرد، واندفاعه وإيمانه هو الركيزة الأهم التي تؤسس للنصر بنظر الإسلام. والإعتبارات الأخرى وإن كان لها تأثيرها، ولكن لا يصل في حجمه وقوته إلى حجم وقوة هذا العامل..

إذ إن العدة، والعدد، والتجهيزات، والتحصينات، والخطط، وغير ذلك، لا أثر له في النصر إن كان الفرد الذي سوف يستفيد من ذلك كله لا يملك الإرادة والقوة والصبر، والحزم والعزم، والثبات والإقدام، وما إلى ذلك..

وقد أوضحت فقرات هذا الدعاء هذا الأمر بما لا مزيد عليه..

وقد ركزت أيضاً على إيضاح حقيقة: أن أفضل الخطط، والتحضير الشامل والدقيق للحرب، يبقى غير قادر على إعطاء الطمأنينة للقادة بحسم الحرب لصالحهم. بل يبقى القلق هو المهيمن عليهم، فهم يخشون باستمرار من عدم انضباط الجنود، وعدم تنفيذ الخطط بدقة. فيفقد القادة توازنهم عند الإشتباك مع العدو، فينتج ذلك أموراً عديدة منها: الهيبة من الإشتباك، والخوف الغريزي، والحيرة

في اختيار القرار المناسب، والتردد في التنفيذ، والإنشغال بالذات لحفظها في الحاضر والمستقبل، والإضطراب والتوتر، وعدم القدرة على التركيز وغير ذلك..

«اللَّهُمَّ افْلُلْ بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ، وَاقْلِمْ عَنْهُمْ أَظْفَارَهُمْ، وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ، وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ، وَبَاعِدْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَزْوِدَتِهِمْ، وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ، وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ، وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ، وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ، وَامْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ، وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ، وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ، وَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ وَنَكِّلْ بِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَاقْطَعْ بِخِزْيِهِمْ أَطْمَاعَ مَنْ بَعْدَهُمْ»..

الـلَّـهُمَّ افْـلُـلْ بِـذَلِـكَ عَدُوَّهُمْ:

وهو «عليه السلام» يريد أن يكون كل هذا الذي طلبه من الله تعالى للمرابطين على الثغور سبباً في قهر عدوهم، وكسر شوكته.

وقد بدأ أولاً بطلب أن يتسبب بفلِّ حد العدو.. فإن الشفرة الحادة إنما تتثلَّم بسبب اصطدامها بما هو أصلب منها، وبذلك لا تعود صالحة لفري، أو قطع، أو كسر ما يراد فريه، أو قطعه، أو كسره بها..

وهذا معناه: أن أول ما يلزم في مواجهة العدو: هو مواجهته بضربات حادة بهدف إحداث ثغرات وثلمات في خطته، وفي مواضع تأثيرها، وإبطال هذا التأثير، ومن ثم تعطيلها بحيث تفقد جدواها..

وهذا بالطبع من موجبات اختلال عمل العدو وإرباكه، وتبديد جهوده، وتعجيزه عن بلوغ أهدافه. أي أن المطلوب في البداية هو التركيز على نقاط بعينها، ومواجهتها بما يسقطها، سواء أكانت نقاطاً ترتبط بالتخطيط، أو التجهيز، أو غير ذلك.. شريطة أن تكون هذه المواضع من الكثرة بحيث تصبح هي الظاهرة الطاغية عليه، وهي تبدو للناظر بمجرد نظره إليه، و إلى أحواله.

وَاقْـلِمْ عَـنْـهُمْ أَظْفَـارَهُمْ:

ثم تأتي بعد ذلك مرحلة قلم أظافر العدو، بمعنى إبطال قدرته على التأثير والجرح والأذى في مختلف المواضع، فيصير حال وسائله، وأدواته حال الأظافر المقلمة، فإنها وإن كانت في حد ذاتها

تملك صلابة بدرجة ما، ولكن ليس لها امتداد يمكنها من أن تنغرز فيما عداها لكي تجرحه، أو أن تؤذيه.. وهو ما يؤدي إلى تعطيل فعالية أسلحة العدو، وإبطال تفوقه فيها..

وَفَرِّقْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَسْلِحَتِهِمْ :

ثم تأتي مرحلة تبديد قوة العدو، وكسر صلابته الذاتية في عمق وجوده. وقد ذكر الإمام «عليه السلام» من وسائل ذلك:

السعي للحيلولة والتفريق بينه وبين أسلحته.. وقد يتجلى هذا الأمر في مظاهر عديدة، فمثلاً:

من جملة أسلحة العدو: الحرب النفسية، ويكون ذلك من خلال إطلاقه الشائعات الكاذبة، أو الضخ الإعلامي لمعلومات مضخمة عن حجم قدراته، أو إنجازاته المدهشة، أو عن الضربات التي سددها، أو عن الخسائر التي أوقعها بالمجاهدين، أو عن العمليات الناجحة التي أنجزها.. وقد يكون ببث سموم الريب وإثارة الشبهات والتشكيكات بالقادة، بإخلاصهم، أو بقدراتهم، أو الحديث عن اختلافات فيما بينهم، أو غير ذلك..

فلا بد من التشويش على وسائله الإعلامية، أو القيام بإعلام تحصيني يجعل جهده هذا خائباً، وغير ذي أثر..

وقد يكون ذلك بالتفريق بين العدو وبين أسلحته المادية، وتعطيل جهوزيته، وإسقاط قدرته على استعمال السلاح، أو الإستفادة من سائر خدمات الدعم القتالي..

وقد يكون ذلك بتسديد ضربات إستباقية مفاجئة له. أو ضرب خطوط إمداده الحربي.. أو التأثير على استعانة قواته ببعضها البعض، ولو بالتشويش على أجهزة اتصالاته..

وربما يتمكن المؤمنون من تحديد مخازن أسلحته، فيعملون على تدميرها، أو الحيلولة بينه وبين الإستفادة منها، ولو عبر الكمائن، التي يفقد معها الثقة بالحصول عليها في الوقت المناسب..

وربما يكون هذا التفريق بجهد إعلامي، أو بتحركات معينة تثير الشكوك بين قادة قطعاته، وما إلى ذلك..

وَاخْلَعْ وَثَائِقَ أَفْئِدَتِهِمْ :

والمرحلة الأوضح والأصرح هي: الإخلال بالتوازن النفسي للعدو، وسلب إرادة القتال، أو ما يعبر عنه بهزيمة الوعي لديه، حيث يفقد العدو فيها مناشئ الثقة والطمأنينة بما تنتهي إليه الأمور، فإن ذلك يجعله كالريشة في مهب الريح، قال تعالى: **(وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)**[1]، وهي هزيمته في روحياته، ومعنوياته، فإن الإنسان الذي لا يجد ما يربط على قلبه، ويبقى يعيش القلق في نفسه، ويعاني من الوحدة والوحشة، والتردد، لا ينتصر في الغالب على عدوه، حتى لو ملك أسباب القوة، لأن الحرب تحتاج الى الثقة، والتفاؤل، والحزم، والتعاون، والثبات والإقدام.

---

(1) الآية 43 من سورة إبراهيم.

فلا بد في الإعلام الحربي من استهداف مناشئ الإعتماد والطمأنينة لدى الأعداء.. وخصوصاً المقاتلين منهم في ساحات القتال..

وَبَـاعِدْ بَـيْـنَـهُـمْ وَبَـيْـنَ أَزْوِدَتِـهِـمْ:

ثم إن قطع طرق الإمداد في منطقة العمليات، وفي منطقة المواصلات، وشل قدرته على تأمين حاجات القتال، واختلال طرق التموين، ووضع مناشئه في دائرة الخطر، من شأنه أن يربك مقاتلي العدو، ويخل بتصميمه وقاطعيته في قراراته، ويحس بخطر الجوع، وفقدان سائر حاجات القتال. ويقلل من قدرته على المواجهة، ويضعفه عن اتخاذ قرار الإقدام والثبات عليه، ويزين له التخلي عن ذلك كله، وتقدير أنه معذور في ذلك. فإن الإنسان يرضى بأن يستشهد، لكنه لا يرضى بأن يموت جوعاً.

والقتل يبقى في دائرة الإحتمال، قد يغيب هاجسه وقد يحضر..

لكن عقارب الجوع، وأشباحه المرعبة تبقى هي الأشد حضوراً، والأقوى تعبيراً عن نفسها بصورة دائمة ومتتالية..

من أجل ذلك نقول:

إن أدنى تهديد للإمدادات بالأزودة سيكون أقوى وأبعد أثراً من أي خطر آخر، وهو السلاح الأمضى والأشد فتكاً في صمود العدو وفي ثباته على مواقفه، واستمرار تصميمه على القتال.

فلا بد من أن يدخل ذلك كله في الخطط الحربية، وفي الإعلام

الحربي بصورة أساسية ومؤثرة.

وَحَيِّرْهُمْ فِي سُبُلِهِمْ:

ومن أهم أسباب فشل العدو، جعله في مواقف غامضة، لا يستطيع معها تحديد القرار المناسب، حيث تضعف ثقته في خياراته التي يعتمدها، ويتحر في أي سبيل يسلك، وأي المخارج يختار.

فإثارة الإحتمالات والأسئلة والشكوك لديه بصوابية اختياراته، والترويج الإعلامي لوجود خيارات أخرى، يؤثر في فقدانه ثقته بنفسه، وسيرتاب الجند بقادتهم، وسيثير لديهم احتمالات المغامرة والمقامرة بأرواحهم، التي هي أعز وأغلى ما لديهم.

كما أن ذلك يضعف الجبهة الداخلية، بما يثيره من شكوك لدى أهلهم، ومن وراءهم بسلامة تدبير أولئك القادة، ويثير الكثير من البلابل والقلاقل.

فلا بد من تركيز الإعلام الحربي على هذا الأمر، وزعزعة ثقتهم بالخطط الحربية التي يعتمدها قادتهم، ولو باستخدام تكتيكات تفرض عليهم التغيير فيها، ثم استغلال ذلك في الإعلام الحربي كدليل على قصورهم، وسقوط خططهم، وعلى أنهم يقومون بمغامرات لا مبرر لها..

وذلك ولا شك يضعف من مستوى الأداء، حين يفقد العدو الثقة بنفسه، وبخططه. حيث تراوده احتمالات الفشل، أو عدم الجدوى..

وَضَلِّلْهُمْ عَنْ وَجْهِهِمْ:

وهذه الفقرة تشير إلى ضرورة وضع خطط لتحركات تضليلية تؤدي إلى بعثرة جهد العدو، وعدم قدرته على تحديد وجهة سير العمليات القتالية، وهذا أمر ضروري جداً في جميع المهمات، وقد يحتاج ذلك إلى بعض العمليات الصغيرة هنا وهناك..

أو تحريك بعض القطعات العاملة باتجاه.. في حين يكون الهدف الأساس في اتجاه آخر.

وقد يحتاج ذلك إلى التظاهر بسرية تلك التحركات، ثم تسريب معلومات عنها بطريقة ذكية ومدروسة.

وقد يكون الهدف من ذلك هو تشتيت قوى العدو، ونقل اهتماماته، أو تحريك النخبة عنده نحو مواقع موهومة، أو غير ذات أهمية، أو ليست هي المقصودة، وإلهائه عن النقطة الحساسة التي يراد ضربها..

كما أن تعمية السبل على العدو في الوصول إلى أهدافه، وتضليله عنها مهم جداً في زرع الفشل والشعور بالخيبة لديه..

والخلاصة: أن التخفي في التحركات، وتضليل العدو عن أهدافه، وجره إلى أهداف موهومة.. أمر هام جداً وأساسي للنجاح في الحرب. بل لا يجوز تمكينه من معرفة الأهداف الكبرى والحقيقية بأي حال..

وَاقْطَعْ عَنْهُمُ الْمَدَدَ:

ومما يزيد في شعور أفراد العدو بالخيبة، وفي تشكيكهم بجدوى مخاطرتهم بأرواحهم أن تحاصر وتعزل القوات العاملة، وتمنع من

الحصول على المساندة والدعم، ولا أقل من أن يشعروا بأن إنجادهم بالمقاتلين وقت الحاجة يعاني من مشكلات، ويصطدم بموانع.

وهذا يؤكد لديهم الشعور بضعف الإستعدادات، أو ضعف التدبير لدى قادتهم، ويعطيهم الشعور بالهيبة لعدوهم، وقيام الإحتمالات لديهم بأن عدوهم يملك قدرات مؤثرة في حسم الحرب لصالحه. وبذلك تصبح مقاومتهم غير ذات جدوى، بل هي مجرد هدر للطاقات، وتعرض للخطر بلا موجب..

وربما يكون نفس شعور الأفراد باختلال خطوط الإمداد، كافياً لإثارة شكوكهم في سلامة التدبير العسكري في سائر المجالات..

ومع اختلال الوضع في هذه الجهة، فإن كل فرد منهم سوف يعتبر أن أي خسارة يتعرض لها فريقه، ربما لا تتهيأ الفرصة لتعويضها، وستزيد بذلك قوة عدوهم وقدرته على إلحاق المزيد من الأذى بهم، أي أن إحساسه بالخطر سوف يتنامى ويكبر في كل لحظة. وسيزداد اهتمامه برصد الخسائر التي تلحق بفريقه، وسيكون لها تأثيرها القوي في نفسه، لأنها تنقص من احتمالات السلامة لديه، وربما ينتهي الأمر إلى أن يصبح القليل أعظم أثراً في نفسه، وأضخم وأكبر من حجمه الطبيعي. ويزيد شعوره بأنه محاصر بالخطر، وأنه يقترب منه، ويزحف نحوه شيئاً فشيئاً.

وقد يفكر أيضاً في أن عدوه أصبح أكثر ميلاً للحرب، لشعوره بأن قوته قد تضاعفت، فيكون على حد قول أمير المؤمنين «عليه

السلام»: «ما لقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه»[1]، وذلك لأنه «عليه السلام» مصمم على قتله، وهو أيضاً يحدث نفسه بأن علياً «عليه السلام» سوف يقتله. فهو إذاً يكون بانتظار ما يرد عليه، ولا يكون فاعلاً ولا مبادراً.

وقطع المدد بالرجال قد يحتاج إلى إشغال القطعات التي يتوقع إمدادها له بحروب جانبية، والسعي إلى تشتيت جهده القتالي.. أو زرع الخوف في طرق الوصول، ولو بعمليات خاطفة، أو نصب كمائن ذكية، أو زرع ألغام، أو غير ذلك مما يؤثر في زيادة الإحساس بخطر التردد في المسالك..

وَانْقُصْ مِنْهُمُ الْعَدَدَ:

وتتحدث هذه الفقرة أيضاً عن المقاتلين في جيش العدو بما هم أفراد، لا عنهم بما هم جماعة. فإن من المفيد جداً: أن يضاف إلى ما تقدم، العمل على استنزاف طاقات العدو البشرية، وسلب قدرته على القتال المجدي، ولو عن طريق السعي لتوجيه ضربات، من شأنها أن تنقص من عديد أفراده، وإخراجهم من ساحة الحرب، إما بقتلهم أو بجرحهم، أو بإيجاد أجواء ومناخات تساعد على حملهم على التراجع، والإنكفاء، واتخاذ خطوات ناقصة، ثم تقوية الدواعي لتركهم ساحة

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص75 والبحار ج34 ص347 وشرح النهج للمعتزلي ج19 ص226.

القتال.

فإن ذلك سيؤثر على معنويات الباقين، ويضعف إندفاعهم للحرب، ويزيد من ميلهم إلى خلق الذرائع، اللحاق بمن خرج منها.. حتى لا يُلْحِقَهم عدوهم بمن قتل أو جرح من إخوانهم..

وذلك يعني: أن ظهور النقص في عديد العدو مطلوب ولازم، لإيجاد المناخ النفسي الذي يضعفهم، ويقلل من خطرهم، ويقوي من عزائم أهل الحق في مواجهتهم، ويطمعهم بالنصر عليهم..

وَامْلَأْ أَفْئِدَتَهُمُ الرُّعْبَ:

وقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «نصرت بالرعب»[1].

مما يعني: أنه لا بد من توجيه ضربات صاعقة، قادرة على نشر الرعب في قلوب الأعداء، فإن ذلك يهيؤه نفسياً للهزيمة، ويشل قدرته على القيام بدوره..

ويلاحظ هنا: أن المطلوب هو الإمتلاء بالرعب، لا مجرد دخول الرعب إلى القلوب..

كما أن المطلوب هو امتلاء الأفئدة، لا القلوب.

ولعل الفرق بينهما أن الفؤاد هو القلب لتوقده أو لتحركه، لأن أصل الفأد الحركة والتحريك، وقيل: الفؤاد هو العقل..

---

(1) تقدمت مصادر هذا الحديث.

فاستعمال هذه الكلمة دون كلمة القلب، لإفادة خصوصية تحرك الرعب في قلوبهم باستمرار، أو توقده، وحرارته، أو أن تصبح العقول غير قادرة على الإدراك والتدبر، فيكون حالها كحال الممتلئ رعباً. وربما يقصد بالفؤاد: القلب وسواه مما في داخل الإنسان.

وفي جميع الأحوال، نقول:

لا بد من انتهاج سياسة تؤدي إلى أن تمتلئ أفئدة الأعداء رعباً، ويسيطر على كل وجودهم، بحيث يذهلهم عن كل تفكير وتدبير، فإن ذلك من بشائر النصر، بل هو من مكوناته الأساسية.

وَاقْبِضْ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْبَسْطِ:

والمطلوب أيضاً: تعطيل قدرة العدو على الحركة، وجعله في موقع العجز عن تحقيق أي إنجاز، فلا يكفي أن لا تمتد أيديهم إلى قتال، بل المطلوب هو: أن تنقبض تلك الأيدي، وتتراجع إلى حد القيام بعمل مضاد لما يطلب منها في ذلك. لأن تلك العناصر قد فقدت الداعي والمحرك للقتال، الذي يكون هو الداعي لبسط اليد، كما أشير إليه في قوله تعالى: **(لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ)**[1].

ويلاحظ: أن المطلوب هو: أن تقبض أيديهم عن البسط، لا أنها تقبض عن أهل الإيمان. أي أنهم لا يريدون لأيديهم أن تبسط لأي

---

(1) الآية 28 من سورة المائدة.

شيء. مما يعني أن حركتهم قد تعطلت بالكلية.. وأن الرعب قد أفقدهم القدرة على أية مبادرة مهما كانت، ووضعهم في حالة انكماش وانطواء طبيعي..

وَاخْزِمْ أَلْسِنَتَهُمْ عَنِ النُّطْقِ:

والمطلوب أيضاً: محاصرة العدو، وإجباره على السكوت، فلا يستطيع أن يتكلم بشيء، لأن أي كلام يصدر عنه سيكون في مصلحة أهل الإيمان، وسوف يعود بالضرر عليه..

يقال: خزم اللؤلؤ، شكه ونظمه.

والبعير جعل في جانب منخره الخزامة.

وخزم أنف فلان، أذله وتَسَخَّره. فإذا خزم اللسان، فإنه لا يعود قادراً على النطق.

وهذا الرباط المهيمن على اللسان لا بد أن يتكوَّن وفق خطة مرسومة، إن في مجال الإعلام، وإن في مجال العمل الميداني العسكري، أو في غير ذلك من مجالات.

وهذا يحتاج أيضاً إلى رصد لكل ما يقوم به العدو، وإلى هيمنة تامة على حركته، وجعله عاجزاً عن الحركة في جميع الإتجاهات، حتى حين يريد أن يتحدث عن قوته، أو حين يريد أن يعبئ جنوده روحياً، ويرفع من معنوياتهم. وغير ذلك..

وسبب هذا هو: أنه يرى جهده هذا سينقلب عليه خيبة وفشلاً وخسراناً.

وَشَرِّدْ بِـهِمْ مَـنْ خَـلْفَـهُمْ:

لقد طلب «عليه السلام» أن توجه ضربات قوية ومدوية إلى الحد الذي يخيف القوات التي لم تشارك بعد بالقتال، ويدفع العدو إلى ارتجال مواقف غير مدروسة، وتأكيد الشعور لديه بعدم جدوى العمل بالخطط المقررة، وإن ذلك من شأنه أن يربك حركته، ويفقده القدرة على الإمساك بزمام الأمور.

بل لا بد من إنزال ضربات هائلة بمقاتلي العدو، تكون بحيث إذا رآها من خَلفهم من القوات المهيأة للقتال، دعاهم ذلك إلى نفور عاجل، يصاحبه اضطراب وتشويش، ومن دون تحديد هدف..

وهذا هو معنى التشريد بهم، أي أن تشعرهم تلك الضربة بالخطر الجسيم يتهددهم، من خلال تصورهم لحجم الأضرار التي حلت بأولئك، الذين كانوا في المواجهة، وكانوا يملكون القوة، والخبرة، والخطة، والسلاح وغير ذلك!! ويتضاعف شعورهم بهذا الخطر بسبب فقدهم لأية ضمانة وحماية من الخطر الذي يتوقعونه، وهم لا يملكون شيئاً من الخبرة، أو الإمكانات، أو الإعداد والإستعداد، أو الخطط، أو المعلومات عما آلت إليه الأمور، فلا يرون لأنفسهم خلاصاً إلا بالنفور والفرار من مواقعهم، إلى مواضع أكثر أمناً، وهم لا يعرفونها بالتحديد، لأن الأمن أصبح خاضعاً لإرادة عدوهم، ولتحولات لم يعرفوا عنها شيئاً، فيتفرقون مع اضطراب وتشويش، ومن دون أن يكون لهم هدف محدد..

وَنَـكِّلْ بِـهِمْ مَـنْ وَرَاءَهُمْ:

ثم إن انفراط جمع العدو على النحو الذي ذكرناه آنفاً، وإن كان إنجازاً كبيراً وهاماً جداً، ولكنه يبقى غير حاسم. فقد يكون ثمة من يعيد لملمة القوات المنتشرة، وربما يضم إليها طائفة ممن شهدوا عن كثب ما جرى لهم، ويفهمهم أن الجيش قد يتعرض لنكسة، ولكن ذلك قد لا يفقده القدرة على إعادة تنظيم صفوفه، ثم الدخول في التجربة من جديد، على أساس استخلاص الدروس والعبر..

فالمطلوب هو: أن توجب الضربة التي تنزل بالعدو تشريده، بحيث يكون هذا التشريد قد حصل لهم بسبب شعورهم بالألم الحاد لما يرونه من حالهم..

مما يعني: أنه لا بد أن تظهر آثار تلك الضربة في مقاتلي العدو جراحاً، وذلاً، وإندهاشاً، ورعباً.. ينعكس على من خلفهم فراراً ذليلاً، واندهاشاً ومعاناة ورعباً. وذلك من موجبات انقطاع آمالهم بأي نصر، وانصرافهم عن التفكير بأية حركة..

وَاقْطَعْ بِـخِزْيِـهِمْ أَطْمَـاعَ مَـنْ بَـعْـدَهُمْ:

والخزي: الهوان. وأصله ذل يستحيا منه.

وغني عن البيان: أن الذي يرى هزيمة غيره، قد يتوّهم أنه لو كان مكانهم لم يجر له ما يجري لهم، لأنه يرى نفسه أصح تدبيراً، وأمضى عزماً منهم، وأن ما جرى لهم لعله كانت نتيجة خلل في خطتهم، أو فشل في عزيمتهم.

كما أن كل واحد من المنهزمين قد يلقي تبعة ما جرى له على غيره. وذلك يخفف من وقع ذل الهزيمة عليه، ويفتح له باباً للتفكير بأن يجرب حظه في مقارعة أهل الإيمان من جديد.

ولكن هذا التفكير قد يتضاءل تأثيره حين يرى أن حجم ما جرى على المنهزمين من ذل وهوان، وخزي، لا يمكن تحمله لأحد من البشر، ولا يستطيع هو أن يرضاه لنفسه مهما كان الثمن.

وإذا تمثل نفسه بهذه الحال، لو حل الفشل فيه، فسيضطر إلى البحث عن ضحية يحملها تبعة الهزيمة، وسيجد أن ذلك لن ينفعه في تخفيف وقعها عليه، لأن النتيجة هي ذل يستحيا منه، ولن يكون في هذه الحال قادراً على مواجهة الناس ليقدم لهم عذره..

ولو تشجع وظهر لهم، فسوف يسقط نفس ظهوره هذا ما يعتذر به عن صلاحية التأثير، حين يكون سبباً في ازدرائه، وازدراء كل ما يصدر منه وعنه.

وهذه عقبة أخرى تعترض تفكيره بأي شيء يحمل معه احتمالات فشل آخر يؤدي إلى مثل هذه الحالة. وسوف يبحث عن المعذرات له سلفاً، وسينأى بنفسه عن أن يمر حتى في وهمه خيال معاودة الكرة..

فيكون خزيهم نفسه من موجبات قطع أطماع من بعدهم في تحقيق أي نصر، أو في الحصول على أية نتيجة.

والخلاصة:

أن الهزيمة في الحرب تنشأ عن الشعور بعدم جدوى القتال..

سوىَ تكبُّد المزيد من الخسائر.. فلا بد من العمل على تكوين هذا الشعور لدى الأعداء، من خلال الضربات التي توجه إليه، ثم توظيف تلك الضربات في المجال الإعلامي وغير ذلك..

الحالة العامة في معسكر الأعداء

«اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ، وَيَبِّسْ أَصْلَابَ رِجَالِهِمْ، وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ، لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلَا لِأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ»..

اختلاف الممارسة تابع لاختلاف النظرة:

لقد أثبت الإسلام عملياً في حروبه الكثيرة التي خاضها النبي

«صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» التزامه بالرحمة الإنسانية، وبالقيم الأخلاقية.. ولكنه حين حورب من قبل أعداء القيم، والطغاة والجبارين لم يجد فيهم من يستشعر شيئاً من الرحمة في قلبه، أو من يؤمن بأي من القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية، أو يتعامل في حروبه على أساسها.. ولذلك جرت الأمور بما لا تشتهي السفن..

ومن جهة أخرى: لا بد من الإعتراف بأن أهداف الحروب تختلف وتتفاوت..

إزدواجية المعايير:

فهناك من يحارب لأجل دفع الأعداء عن نفسه، وعن قيمه، وعن منجزاته.. وهذه هي حال المسلمين مع أعدائهم.

وهناك من يحارب بهدف الإبادة والإستئصال، أو بهدف محو هوية الشعوب وتشويه قيمها، واقتلاع دين الله من جذوره، وهم أعداء الإيمان وأهله.. وهؤلاء، وإن كانوا قد وضعوا للحروب قوانين، ولكنها قوانين لا تعنيهم هم، وإنما تعني ضحاياهم، لأنهم إنما يجرونها على الضعفاء، لا على الأقوياء..

ومهما يكن من أمر، فإنهم قد وضعوا قوانين دولية تُحَرِّم استعمال بعض أنواع الأسلحة، ومنها: أسلحة الدمار الشامل، كالقنابل الذرية، والأسلحة الجرثومية، والكيماوية، والعنقودية، وما إلى ذلك..

ولكن نفس تلك الدول التي تدعو إلى عدم استعمال هذه الأسلحة في الحروب هي التي تتولى صناعتها وإنتاجها، وتحتفظ بمخزونات

هائلة منها وتوزعها في السر وفي العلن.. وتبيع منها كميات هائلة بصورة أو بأخرى إلى الفئات المتحاربة، أو إلى هذه الدولة أو تلك، لأسباب مختلفة..

وقد استعملت بعض الدول الكبرى هذه الأسلحة في هيروشيما وناكازاكي.. واستعملت بعض أنواعها في الحرب ضد الجمهورية الإسلامية، وضد الأكراد..

كما أن الحروب الباردة بين الدول في الشرق والغرب تقوم على أساس الإستكثار من هذه الأسلحة بالذات، وتطويرها، ورفع مستوى القدرة على الإستفادة منها..

رغم أن صراع هذه الدول إنما هو على مكاسب مادية وأهداف تسلطية، لا أكثر من ذلك.. فلماذا يجعلون الحاكم في هذا الصراع الدنيوي المصلحي هو هذه الأسلحة الفتاكة بالذات.. فيتعرض شعب للإبادة والقضاء عليه، وعلى كل مفاهيمه وقيمه، ودينه وفكره بأبشع الصور كما نشهده الآن في كثير من بقاع العالم دونما رادع من ضمير أو وازع من وجدان. ولماذا يُحَرِّم امتلاك السلاح الرادع عن ارتكاب جرائم الإبادة على هذا الفريق، ولا يكون حراماً على أولئك الذين يستعملونه لأهداف دنيوية وتسلطية؟!.

وحين يمتلك عدوك هذا السلاح، أو ذاك، ويستعمله ضدك، أو يهددك باستعماله، فَلِم لا يجوز لك أنت أن تمتلك، ولو من دون أن تستعمل ما هو أقل منه خطورة، ولو لمجرد الردع عما هو أشر

وأعظم..

من أجل ذلك نجد: أن هناك من يقول:

إن أضعف الإيمان في هذه الأحوال هو القبول بجواز الإستفادة من هذه الأسلحة للمظلومين والمعتدى عليهم على قاعدة المقابلة بالمثل..

ولأجل ذلك قد يرى هذا البعض: أن هذا الدعاء قد جاء ليشير إلى بعض الوسائل التي يستخدمها أولئك الجبارون المجرمون.. ليلمح إلى أن الأعداء حين يفرضون عليك معركتهم، ويفرضون عليك أساليبها، حين لا تستطيع أن تردعهم عنها إلا إذا احترقوا هم بنارها..

فإذا قابلتهم بالمثل، لا من أجل التشفي والإنتقام. بل من أجل ردعهم عن طغيانهم، وإخضاعهم لأحكام الضمير الإنساني.. فإنك لا تكون ظالماً، ولا بعد ذلك تجاوزاً للقوانين. إلا إذا أريد الكيل بمكيالين..

ولعل لمن يفكر بهذه الطريقة أن يقول: إن الشاهد الصريح على ما يقول هو: أن الإمام «عليه السلام» قد صرح في نفس دعائه هذا: بأن الهدف من الطلب من الله أن يعقم أرحام نساءهم، وأن يجعل الوباء في مياههم، والأدواء في طعامهم، ونحو ذلك: هو دفع غائلتهم عن النفس وعن الدين، وإخضاعهم لإرادة الله، لا لإرادة عبيده، لكي يقروا له بالوحدانية، ولتكون كلمة الله هي العليا.. بدلاً من أن تكون الأهواء هي التي تحكم وتسيطر على القرار، وتدفع إلى الدمار

والبوار، واقتلاع الآثار..

ونتيجة ذلك هو: أن الإمام «عليه السلام» في هذا الدعاء لا يريد تشريع استعمال الأسلحة المحرمة دولياً بالمطلق، بل يريد إعلامنا: بأنه لا مانع من المقابلة بالمثل، حيث لا يمكن دفع العدو إلا بذلك..

ولكن مما لا شك فيه هو: أن الأصل هو الرحمة الإلهية للبشر، وأن يفرض أهل الإيمان قيمهم، وأساليبهم المشروعة على أعدائهم، وأن لا يرضوا لأنفسهم بالإنجرار إلى أساليب لا أخلاقية، وغير منسجمة مع معاني الرحمة. فالإسلام يريد سعادة البشر، حتى لو كانوا أعداءه، ويسعى إلى فرض السلام عليهم واستصلاحهم، ولا يسعى إلى التنكيل بهم، على سبيل التشفي والإنتقام..

وبعد ما تقدم نقول على سبيل الخلاصة:

إن رد العدوان والظلم، ودفع العدو المحارب واجب عقلاً وشرعاً، شرط أن يكون ذلك بالوسائل التي أباح الشارع استعمالها. وإن احتاج هذا الردع إلى قتل المهاجمين مهما كثر عددهم، وقد قال تعالى: **(وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً)**[1]، ثم بين سبب طلبه هذا، فقال: **(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً)**[2].

---

(1) الآية 26 من سورة نوح.

(2) الآية 27 من سورة نوح.

ومن الوسائل التي ورد النهي عن الإستفادة منها في الحرب إلقاء السم في أرض العدو[1].

وقد أفتى جماعة من العلماء بمضمون هذه الرواية، كابن إدريس، والشيخ الطوسي في النهاية، وغيرهما وحكموا بتحريم ذلك، ومنع منه بعض آخر[2].

وليس في الرواية ما يدل على جواز ذلك في صورة المقابلة بالمثل..

كما أن بعض من أفتى بالمنع لم يقل: إن الحرمة مقيدة بصورة احتمال إصابة السم لغير الأعداء في ساحة القتال.

أي أنه لم يقل: إن نشر السم إنما يحرم في صورة ما لو أصاب غير المقاتلين سواء أكانوا ممن لا تعنيهم تلك الحرب ولا نزاع معهم، أو كانوا من الذين يؤازرون المعتدين ويشجعونهم على مواصلة القتال ضد أهل الحق.

---

(1) راجع: الكافي ج5 ص28 والأشعثيات ص80 وجامع أحاديث الشيعة ج13 ص153 وتهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ج6 ص143 وتذكرة الفقهاء (ط حجرية) ج1 ص402 ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص62 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص46 ومستدرك الوسائل ج11 ص41 و (ط حجرية) ج2 ص249 وجواهر الكلام ج21 ص67 والبحار ج19 ص177.

(2) راجع مصادر ذلك في كتابنا: الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل ص62.

ومع ملاحظة ذلك، نقول:

إننا حين نقرأ ما ورد في هذا الدعاء الشريف من قوله: «اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ».

وقوله: «لَا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ، وَلَا لِأَرْضِهِمْ فِي نَبَاتٍ».

وقوله: «اللَّهُمَّ وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَأَطْعِمَتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ» ونحو ذلك.. لا بد لنا من فهم ذلك كله، وفق الضوابط المقررة شرعاً..

فهل نقول:

إنه «عليه السلام» لم يقصد بهذه الفقرات ما يشمل السم الذي استثنته الرواية، وحرمت الإستفادة منه في الحرب؟!

أو نقول:

إن المنع عنه خاص بصورة ما لو تعدى الضرر المقاتلين إلى غيرهم، خصوصاً إذا كانوا من عامة الناس الذين لا ناقة ولا جمل لهم في الحرب.. وربما كانوا ضدها؟!

أو نقول:

إن ذلك ممنوع إلا في صورة استعمال العدو لهذه الوسائل الممنوعة، ولم يكن ردعه إلا بالمقابلة بالمثل فيها، فيجوز ذلك على قاعدة: **(فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ)**[1].

أو نقول:

---

(1) الآية 194 من سورة البقرة.

إن الكلام جارٍ على سبيل التخويف للعدو، وتهديده لردعه عن ارتكاب هذه الحماقة. حتى لا يكون شعوره بالأمن مشجعاً له على ذلك، فالمطلوب هو إيهامه بأن المنع مشروط بإمتناعه..

فإذا بادر هو إلى جعل الوباء في الماء وإلى معالجة التربة، بحيث لا تعود صالحة للإنبات، وإلى بث ما يوجب العقم، ونحو ذلك، فعليه أن يتوقع الرد بالمثل، صاعاً بصاع، وذراعاً بذراع. والبادئ أظلم..

أو نقول:

إنه «عليه السلام» أراد أن يطلب من الله سبحانه أن يحوِّل هذه النعم التي يتقوى بها الأعداء على أهل الحق، إلى وسائل لكبح جماحهم، وموانع تمنعهم من البغي والعدوان، فبدل ان تكون هذه النعم غذاء ولذة وراحة لأولئك الطغاة المجرمين، يكون فيها لهم الضرر والبلاء، والتعب والعناء، وبدل أن تكون دواءً وشفاءً تصبح مرضاً ودواءً.. وبدل أن تكون مصدر قوة، وسبب اندفاع تصير من موجبات الوهن لهم، والضعف والضياع..

وفي جميع الأحوال نعود فنؤكد على أننا لا نشك في أن الإمام «عليه السلام» لا يدعو إلا بما يجوز الدعاء به، وبما لا مانع من وقوعه، وإيقاعه بالمدعو عليهم، وبأي نحو كان.. ولو بإيجاد وسائله الطبيعية، أو غير الطبيعية، ومنها التسبيب بواسطة الدعاء للتدخل الإلهي، لكي يشغلهم عن العدوان بأمثال هذه الأمور، ويحول نعمه عليهم إلى نقم تمنعهم من مواصلة البغي والعدوان، ومن الإمعان في

الإجرام والطغيان.

فلذلك قال «عليه السلام»:

اللَّهُمَّ عَقِّمْ أَرْحَامَ نِسَائِهِمْ:

فقد طلب الإمام «عليه السلام» من الله سبحانه أن تصاب أرحام نساء العدو بالعقم، لأن هذه النعم، التي يفترض أن تشكر، قد أصبحت توظف في تدمير الإنسان والإنسانية.. فما المانع من أن يسعى المحارب إلى حرمانهم من هذه النعم، إن لم يكن بالوسائل المعقولة، فبالطلب إلى الله ليتدخل في هذا الأمر؟!

وذلك قد يكون في بعض وجوهه إحساناً للبشرية، بل هو إحسان حتى للعدو أيضاً..

ونحن نشهد في إعلام أعدائنا حرصاً ظاهراً على انتهاج هذا الأسلوب، من خلال تحريض المجتمعات الإسلامية على استعمال وسائل منع الحمل، أو اللجوء إلى استئصال أرحام النساء، أو نحو ذلك. ويدخل في ذلك تخويفهم من سوء الحالة الإقتصادية، وقلة مواردهم الطبيعية، أو تخويفهم من بعض الأمراض، أو غير ذلك.. ربما لأنهم يعتقدون: أن منعنا من التكاثر عن طريق الولادة، ولو بتحريضنا على استخدام أسباب العقم، يكون أقل كلفة عليهم وأقل إيلاماً لنا..

وَيَبِّسْ أَصْلابَ رِجَالِهِمْ:

وهنا أمران طلب الإمام «عليه السلام» من الله تبارك وتعالى أن

يوقعهما في أعدائه، لدفع شرهم عن البشر، وهما:

الأول: إنه «عليه السلام» لم يكتف بطلب مجرد دفع الولادات، بل طلب أيضاً إصابة الأرحام بالعقم، وفقدان القابلية، وعدم إمكان إعادتها إلى حالتها الطبيعية.

الثاني: إنه «عليه السلام» لم يكتف بطلب عقم أرحام النساء، حتى طلب يبس أصلاب الرجال أيضاً، مع أنه قد يتوهم كفاية الأول عن الثاني..

ربما يكون سبب رفع مستوى الطلب إلى حد عقم الأرحام، ويبس الأصلاب هو: أن يشعر الرجال والنساء بالخطر على أصل بقائهم، وأن يقوم لديهم احتمال استجابة هذا الدعاء.، الأمر الذي سيؤدي إلى فقدانهم أي وسيلة للإمتداد في الحياة، فلا يكون لهم نسل يأنسون به، أو يعتمدون عليه، فهم إن بقوا بقوا بلا معين، ولا حبيب، ولا امتداد، وإن قتلوا انقطع ذكرهم، وحرموا حتى من البقية الباقية من حياتهم أيضاً.

وذلك يشعرهم بالهزيمة نفسياً، وبالحاجة إلى التراجع عن مواقع الخطر، ويقلل من ميلهم إلى الحرب..

أي أن المطلوب هو: التأثير على الأعداء نفسياً، حين يسمعون أو يعرفون بأن أهل الإيمان يطلبون ذلك..

وأما إذا حصل منهم شيء من هذا القبيل، واقتنعوا بأن الله تعالى هو الذي حرمهم من الذرية، فإن المصيبة عليهم ستكون أشد وأعظم،

لأن ذلك معناه صيرورتهم في دائرة الغضب الإلهي، الذي أوجب حرمان الله لهم حتى من أضعف خيوط الأمل. وبذلك تضعف ثقتهم بحقانية ما هم عليه، ويتضاءل ميلهم للحرب أيضاً إلى أدنى المستويات..

وقد يجد المرء لدى أعدائنا محاولات جادة لتلويث المياه والأطعمة، وغيرها، بما يوجب عقم النساء، وييأس أصلاب الرجال..

وَاقْطَعْ نَسْلَ دَوَابِّهِمْ وَأَنْعَامِهِمْ:

ولا يزال أعداء أهل الإيمان يسعون إلى قطع نسل الدواب التي تعين المسلمين على قضاء حاجاتهم، والأنعام التي يستفيدون من نتاجها في معاشهم، فلماذا لا يقابلهم أهل الإيمان بالمثل، ولو بأن يطلبوا من الله تعالى أن يوجد الوسيلة لمنع دوابهم التي يستعينون بها في قضاء حاجاتهم، ومنع أنعامهم ـ التي يعتاشون على نتاجها، وتتعلق آمالهم بها ـ من النتاج.. وأن ينقطع نسلها لكي تصبح البقية الباقية من حياتهم أيضاً إما في خطر أكيد، أو في غاية الصعوبة والمشقة، الأمر الذي يثير لديهم احتمالات مرعبة حول مستقبلهم؟!

لا تَأْذَنْ لِسَمَائِهِمْ فِي قَطْرٍ:

وبعد.. فإن للوضع الإقتصادي دوراً مفصلياً في الميل إلى الحروب، وفي مواصلتها.. فتسديد ضربات موجعة في هذا الإتجاه، يختصر الطريق إلى النصر، ويؤدي إلى حسم الأمور لصالح أهل الإيمان..

ولذلك يفرح الأعداء إذا شحت الأمطار في بلاد أهل الإيمان، وأصيبت بالجفاف، لأن المياه تعد من أهم مصادر الأمن الإقتصادي..

فإذا أمكن حرمان العدو من مصادر المياه، فذلك يضطره إلى التخلي عن الحرب، خصوصاً إذا كان ذلك يضر بالزراعة والماشية، وسائر أنواع الري، وقد يصل الأمر إلى محدودية مياه الشرب والصرف الصحي، وغير ذلك..

فلذلك دعا «عليه السلام» بأن تحبس عنهم السماء قطرها، في إشارة منه «عليه السلام» إلى أهمية وحساسية هذا الأمر، وأثره في مصير الحرب.

ويلاحظ: أن الدعاء اختص بسماء الأعداء، فقال: «لسمائهم» دون مطلق السماء. كما أن الحديث إنما هو عن حجب الإذن بذلك، ولم يطلب أن تغور مياههم في الأرض، ولا إمطارهم بالنوازل والكوارث مثلاً.

كما أن الحديث كان عن القطر لا عن المطر، ربما ليشعروا أن المطلوب هو منعهم حتى من قطرات الماء، الذي قد لا يعد مطراً إلا إذا كثر وتواصل.. فطلب منع المطر الذي هو أغزر يكون بطريق أولى..

أو فقل: إن التعبير بالقطر يشير إلى انفصال كل نقطة عن مثيلتها، مما يوحي بالإنفراد و بالقلة..

ونزول القطر من شأنه أن يبعث البهجة في النفس، ويوحي

بانفراج الأزمة، ووجود الإستعداد للأمطار، ويعطي الأمل.. أما حجبه، فيقود إلى اليأس منه. والشعور بالخطورة، ويدعو إلى السعي للخروج من المأزق.

وَلا لأرْضِهِمْ فِـي نَـبَـاتٍ:

وإذا ضرب البلاد القحط، ولم يؤذن للسماء في قطر، ولا للأرض في نبات، فذلك يزيد في تردد العدو في الدخول في حرب، ويثنيه عن مواصلة الحرب التي دخل فيها. ولأجل ذلك يحاول الأعداء تزهيدنا باستصلاح الأرض وبالزراعة. ويحاولون الإستئثار بالمياه لأنفسهم، وقطعها عنا، ويحاولون ضرب سدودنا، أو دفعنا إلى كل ما من شأنه تعطيل الأرض، وإخراجها عن الصلاحية للزراعة.

فلماذا لا يجوز لنا أن نسعى إلى ذلك، ولو بأن نطلب من الله تعالى أن يفعل بهم ذلك، فإنه أولى من إزهاق الأرواح، وإتلاف النفوس، وما إلى ذلك من مصائب وبلايا؟!

وخلاصة الأمر: إن الرخاء الإقتصادي، يشجع الطامعين والطامحين إلى شن الحروب، والإمعان في التدمير، والهدم. والضيق الإقتصادي يدعوهم إلى التروي والتردد في الدخول في مخاطرات ومتاهات الحرب، وتحمل أعبائها، والتعرض لاحتمالات النكسات فيها.

وقد يقال: إن هذا لا ينسجم مع ما ورد في وصايا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي «عليه السلام» لجنده، ففيها: «ولا تحرقوا النخل،

ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرون لعلكم تحتاجون إليه، ولا تعقروا من البهائم مما يؤكل لحمه إلا ما لا بد لكم من أكله»[1].

وفي نص آخر: «لا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً، إلا أن تضطروا إليها»[2].

وقال أبو الصلاح: لا يجوز حرق الزرع، ولا قطع الشجر، ولا قتل البهائم.

ويجاب: بأن الدعاء الشريف لم يتحدث عن قطع الشجر، ولا عن قتل المرأة، والشيخ، والطفل، بل طلب من الله تعالى التسبب في العقم

---

(1) الكافي ج5 ص29 وتهذيب الأحكام ج6 ص138 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص59 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص44 والبحار ج19 ص179 وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص138 وشرح النهج للمعتزلي ج17 ص184 وراجع: كنز العمال ج4 ص475 وج10 ص579.

(2) المحاسن للبرقي ج2 ص355 والكافي ج5 ص27 و 30 وتهذيب الأحكام ج6 ص138 و 139 والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج15 ص58 و (ط دار الإسلامية) ج11 ص43 والبحار ج19 ص177 وج97 ص25 وتفسير نور الثقلين ج2 ص188 وراجع: سنن أبي داود ج1 ص588 والمصنف لابن أبي شيبة ج7 ص654 والدر المنثور ج1 ص205.

للمرأة، ويباس أصلاب الرجال، ومنع الأرض من الإنبات، وشتان ما بين هذا وذاك.

وما ذكرناه أيضاً: لم يتضمن قطع الأشجار، ولا قتل النساء، ولا غير ذلك.. **فليلاحظ ذلك..**

على أن ذلك إن كان يحرم، فإنما يحرم في صورة الإقدام عليه مع عدم الحاجة إليه، أي أن النهي إنما هو عن إحراق الأشجار على سبيل العبث والفساد في الأرض، ولا نهي عن إحراقه في صورة الإحتياج إليه، أو لأجل تحقيق النصر، ومنع القتل..

الفصل الخامس:

الحالة العامة في معسكر الإيمان

«اللَّهُمَّ وَقَوِّ بِذَلِكَ مِحَالَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ، وَثَمِّرْ بِهِ أَمْوَالَهُمْ، وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ، وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلَا تُعَفَّرَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُه نَكَ»

اللَّهُمَّ وَقِّ بِذَلِكَ مِحَالَ أَهْلِ الإِسْلَامِ:

المحال ـ بكسر الميم ـ: الكيد، والقوة والشدة، والتدبير، والمكر..

وبعد أن كان الحديث عن الآثار التي قد تصيب المرابطين، أطلق هنا في المطالب، لكي تعمهم، وتعم جميع أهل الإسلام.

وهذا يعطي: ضرورة رسم خطط عملية تؤدي في مقام تنفيذها إلى هذا الشمول. فإن بناء القوة القادرة على حسم الحروب لصالح أهل الإيمان، من أهم وسائل ردع العدو عن التفكير في العدوان، حاضراً ومستقبلاً، الأمر الذي يهيئ لأهل الإيمان الفرصة للعيش في ظل حالة من السلام، ثم تحقيق الرخاء والإزدهار.. وعلى هذا الأساس جاء قوله تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)**[1].

فالمطلوب هو الردع عن الحرب، وليس الحرب نفسها، لأن الحرب قد تتحول إلى عبث، أما الردع فهو يحفظ الطاقات، ويحولها إلى وسيلة للبناء والتطور، ويجعل منها سبباً للسلام الفردي والجماعي على حد سواء..

وفي جميع الأحوال نقول:

قد جاء اختيار كلمة «المِحال»، المحتملة لعدة معان، لتكون الخطط قادرة على تحقيق هذه المعاني كلها..

---

(1) الآية 60 من سورة الأنفال.

فلا مانع من المكر بالعدو، ولا النكاية به بصنوف من الكيد، وفق ما ألمحت إليه الفقرات السابقة.

ولا مانع من تدبير الشؤون بصنوف من الخطط، وأنواع الخدع للعدو.

ولا مانع من تحصيل القوة والشدة بوسائل أشير إليها في الفقرات السابقة.

وقد يكون لفظ «المحال» قد استعمل في القدر الجامع لجميع المعاني المشار إليها آنفاً، وقد يكون استعماله في المعاني على نحو استعمال المشترك في أكثر من معنى، تماماً كما هو الحال في التورية، ولا يحتاج ذلك إلى أن يكون من يستعمل اللفظ أحول العينين كما أشار إليه المحقق الخراساني «قدس سره» في كفاية الأصول، فإن استعمال الألفاظ أيسر من ذلك.

وتقوية المحال يفرض التمتع ببصيرة وخبرة عالية بكل الوسائل الموصلة إلى هذا الهدف. حسبما تقدم في الفقرات السابقة.. ومنها ما يحتاج إلى تهيئة قدرات مادية مناسبة. وإلى الحصول على صنوف من الآلات، والخبرات، والإمكانات من أجل ذلك. وقد تحتاج إلى دراسات علمية، وربما لابتكارات واختراعات أيضاً. بالإضافة إلى خدع لا بد من استنباطها، وصنوف من المكر والحيلة يلزم التوسل بها، وخطط بالغة الدقة، صالحة للتعويل عليها في تنفيذ ذلك كله.

وَحَصِّنْ بِـهِ دِيَـارَهُمْ:

كما لا بد من استثمار جميع ما ذكر في الفقرات السابقة في تحصين ديار أهل الإسلام. بحيث تصبح بعيدة عن متناول أيدي الأعداء، منيعة عصية على أي تعرض واستهداف منهم لها بسوء..

وقد يتم ذلك بإيجاد الروادع للعدو، إما من حيث إثارة الشعور لديه بأن ثمة قوة ذاتية رادعة على قاعدة: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1].

أو بإحساس العدو بالضعف في نفسه، من حيث شعوره بالإنكشاف الأمني، وبعدم قدرته على تحصين نفسه من أي ردة فعل موجعة له حتى في داخل محيطه، الأمر الذي يجعله يعرض عن التفكير بالعدوان على ديار أهل الإسلام.. وتصبح ديار المسلمين بنظره صعبة المنال، لا تنفع معها حيلة، ولا يؤثر فيها سلاح..

ولا يكفي في تحقيق الردع أن يرى العدو الصعوبة والحصانة في مواقع المواجهة فقط.

وَثَـمِّرْ بِـهِ أَمْـوَالَـهُمْ:

ومن الواضح: أن كل هذه المنعة، وقوة الردع، من شأنها أن توفر الفرصة للإزدهار الإقتصادي الذي هو سلاح آخر يرهب العدو أيضاً، ويدعوه إلى التفكير ملياً قبل الإقدام على أية خطوة باتجاه اتخاذ

---

(1) الآية 60 من سورة الأنفال.

قرار الحرب، لذلك نقول:

إن من المهم جداً أن لا تتوقف عجلة الإنتاج، وأن تبقى الدورة الإقتصادية في حركة متنامية، فالإسلام لا يريد مالاً راكداً، لا في حال الحرب، ولا في حال السلم[1]. وإن نفس أن يرى العدو أهل الإسلام في رخاء اقتصادي، وفي نمو مطرد، ثم يرى ضعفه في هذه الناحية سيزيده شعوراً بالمرارة وبالخيبة. كما أن ذلك يطمئن أهل الإسلام إلى المستقبل، ويزيدهم ثقة، وثباتاً، ورغبة في الدفاع عن منجزاتهم.

وَفَرِّغْهُمْ عَنْ مُحَارَبَتِهِمْ لِعِبَادَتِكَ:

ثم إن السياسة الحربية يجب أن تؤدي إلى عجز العدو عن اللجوء إلى خيار الحرب، فتخف أعباء الإعداد والإستعداد على المرابطين، ويجدون الفرصة للتفرغ لعبادة الله، وتربية أنفسهم، وبذل الجهد في

---

(1) وهذا يشير إلى الحكمة البالغة في كون نصيب المرأة في الإرث نصف نصيب الذكر ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾، فإن المرأة تجد المال في الغالب، لأنها لا تحتاج غالباً إلى تحريك، ولا تجد ضرورة للسعي لتداوله، وتبديله إلى سلع أو غيرها مما يفيد في دفع عجلة الإقتصاد، لأنها إما غنية بزوجها، أو في كفالة الأب وغيره. كما أنها في الغالب لا تجد الفرصة للقيام بهذا الأمر، بسبب دورها الطبيعي في الأسرة.
أما الرجل، فهو أقدر على تحريك المال في الإتجاهات المختلفة، وهو يحوله إلى سلعة تارة، وإلى خدمات أخرى..

سبيل نيل مقامات القرب والرضا الإلهي، لا ليكون الفراغ من أسباب الملل والكسل، أو من دواعي التفكير بالدنيا وزخارفها، والبحث عن وسائل الحصول عليها، أو من موجبات الخوض في كرامات الناس، والتعدي عليهم بكشف معايبهم عن طريق الغيبة، أو من موجبات الإنصراف لإرضاء الشهوات..

فإذا تفرغ المجاهدون والمرابطون لعبادة الله، فإن ذلك يحتم على المسؤولين وضع برامج توجيه ورعاية لهم في عباداتهم هذه..

كما أنه لا بد من وضع آلية تعطي المجاهدين فرصة للعبادة من جهة.. وتحفظ من جهة أخرى للثغور حصانتها، بحيث يتواصل شعور العدو بأن العيون ساهرة، والعقول مستنفرة، فلا غفلة في البين يستطيع من خلالها أن يورد ضربته في أي موقع..

على أن من الواضح: أن الجهاد وإن كان من العبادات، إلا أنه عبادة مشوبة بالصوارف والشواغل، بخلاف الصلاة والدعاء في الخلوات، فإنه أكثر صفاءً، وأعظم أثراً في التصفية والتزكية، وإثارة كوامن المعرفة الروحية والإيمانية..

والمثوبة على الجهاد إنما هي ـ في الأكثر ـ بسبب مشقاته، وأهواله، وآثاره العظيمة في حفظ بيضة الإسلام بالدرجة الأولى، بخلاف الصلاة ونحوها، فإن أثرها يتجلى في رسوخ قدم العبد في تزكية نفسه وتهذيبها.

وفي المحاربة يكون السعي ـ غالباً ـ لحفظ الجسد، وفي العبادة

يكون الغالب هو السعي لحفظ الروح.

وَعَنْ مُنَابَذَتِهِمْ لِلْخَلْوَةِ بِكَ:

والحرب ليست هدفاً في حد ذاتها، وإنما هي استثناء، يراد منه أن يكون وسيلة لردع العدوان، لتحقيق الأمن وإنتاج السلام الذي يأتي معه بالمزيد من الفرص، لتجسيد العبودية، طاعة، وانقياداً، وتسليماً، وخضوعاً لله سبحانه.. ولذلك كانت الحرب شرفاً، وعزاً وعملاً مقدساً..

ومن البديهي: أن الخلوة مع الله تهيئ الفرصة للإنسان ليبوح له بكل ما في ضميره، وليكشف ما يسعى العبد عادة لستره عن كل أحد، أو يتظاهر بإنكاره والبراءة منه، فإن معايب الإنسان ونقائصه كثيرة، وهو أعرف الناس بها. والإعتراف بها والسعي للتخلص منها إنما يصبح ميسوراً له حين يختلي بنفسه بين يدي الله تعالى..

وهذه من أهم وسائل التربية. ومن موجبات تواضع الإنسان، وتخليصه من الغرور، وإبعاده عن حالات البغي، والإستكبار، وتعطيه حجمه الطبيعي.

فلا بد من تهيئة الفرص للمرابط لمثل هذه الخلوات العبادية. ولا يصح إشغاله المستمر بغيره، ومع غيره.

والمنابذة هي المكاشفة والمجاهرة بالحرب. وهي ضد الخلوة.. وهي تحتاج إلى الإنشغال بمراقبة العدو، والعمل على إفشال خططه، والسعي لتنفيذ خطط هجومية، ملازمة للتركيز على ما حوله..

والإنصراف عن التفكير في الله، أو الإستغراق في تأملاته الروحية والتربوية.

وأما قوله «عليه السلام»:

حَتَّى لا يُعْبَدَ فِي بِقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ:

فإنه يفهم من ناحيتين:

الأولى: أن يراد بهذه الفقرة: أن تتمحض عبادتهم لله، فلا يعبدون سواه، فلا يعبدون المال، ولا الجاه، ولا السلطان، ولا القائد، ولا.. ولا.. إلخ..

وهذا يحتاج إلى مزيد من الوعي العقائدي، والإلتزام الإيماني، والإلتفات إلى سلبيات زيادة التعلقات بغير الله تبارك وتعالى. فالمؤمنون والصالحون لا يقدسون زعماءهم، ولا يطيعونهم من دون تدبر ووعي، وفي غير رضا الله. وهم يضعون الأمور في نصابها.. ولا يعطونها أكثر من حجمها.

وأما ما نراه من اختلافات في هذا المجال، فهو سلوك خاطئ، ومرفوض من الناحية الدينية والإيمانية، ولا بد من الإقلاع عنه..

الثانية: أن يكون المراد بهذه الفقرة هو: أن يبذل الجهد في نشر عبادة الله بين الناس في أقطار الأرض، ومحاصرة الشرك، ومحاربته، والقضاء عليه.. أي أن المطلوب هو استمرار الجهاد، بكل أنواعه.. إلى أن يزول الشرك من جميع بقاع الأرض، قريبها وبعيدها، مهما اختلفت صفاتها وحالاتها.. لأن الجهاد كما تقدم، يعطي

الإنسان الحرية، والأمن والسلام، والفرصة لكل الناس ليجسدوا عبوديتهم لله في طاعاتهم وعباداتهم. وأن يعملوا بكل سكينةٍ وطمأنينة على نشر الخير والصلاح للبلاد والعباد..

أما الحرب الظالمة، والعدوانية، فلا ثمرة لها إلا التدمير والخراب، وهي مرفوضة ومدانة وممقوتة. وهي تعرض صاحبها لغضب الله وانتقامه، إن لم يكن في هذه الدنيا، ففي الآخرة من دون ريب.

على أن العبادة هي ـ كما يقول السيد علي خان ـ أعلى درجات الخضوع والتذلل، فلا تصلح ولا يستحقها إلا من يُولي العبد أعلى النعم، وأعظمها، من الوجود، والحياة، وتوابعهما، وهو الله سبحانه..

ولأجل ذلك دعا «عليه السلام» بإضعاف أهل الشرك، وتقوية أهل الإسلام. ثم جعل الغاية من هذا هي تخصيصه تعالى بالعبادة التي لا يستحقها غيره.

وبذلك يكون قد أرغم أهل الشرك أيما إرغام، وأعز الإسلام أيما إعزاز.

والتعبير بكلمة «بقاع» لعله للإشارة إلى بلوغ العبادة والطاعة أعلى المواضع والمواقع في الأرض كلها، مهما اختلفت في مكوناتها، وفي حالاتها.. فقد فسرت البقعة بأنها أعلى قطعة من الأرض، على غير هيئة التي إلى جنبها.. كما قاله صاحب المحكم.

وَلا تُعَفَّرَ لأحَدٍ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ:

وتعفير الجبهة بالتراب وتمريغها به هو غاية الخضوع، لدلالة ذلك على تأكيد توحد ممازجة أشرف الأعضاء لأهون الأشياء. فلا يستحق هذا التعفير أحد من المعبودين غير الله تبارك وتعالى..

وهذه مرتبة أخرى من مراتب إسقاط الشرك، ودحره من العقول، والنفوس، والقلوب. وتأكيد آخر على انتصار الإيمان وأهله.. فلا بد من إظهار هذه المعاني، والتسويق لها، وإسقاط الشرك وهيبته، وكل ما يعتز به، وإزالة كل ما فيه تأييد لخط الباطل من عقول وقلوب الناس.

«اللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلَائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ قَتْلًا فِي أَرْضِكَ وَأَسْراً، أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ.

اللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلَادِ مِنَ الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ وَالدَّيَالِمَةِ وَسَائِرِ أُمَمِ الشِّرْكِ، الَّذِينَ تَخْفَى أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ، وَأَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ»..

اللَّهُمَّ اغْزُ بِكُلِّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَنْ بِإِزَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ:

الغزو هو مهاجمة العدو في بلاده.. فهذه الفقرة تشير إلى أن المطلوب هو التخطيط لنقل المعركة، إلى أرض العدو، وتكون في بلاده، ليعيش حالة الخوف والترقب باستمرار، فإنه ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا[1].

وإذا كانت الحرب معلنة، وكان الإستنفار قائماً، فلا يصح الإكتفاء بالإحتفاظ بالمواقع في داخل أرض وبلد المسلمين، وانتظار مبادرة العدو للهجوم على تلك المواقع.

فإن الدفاع هو موقف آني يلجأ إليه الطرف الأضعف، ليحتوى به

---

(1) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص68 شرح النهج للمعتزلي ج2 ص74 وكتاب سليم بن قيس ص213 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص256 والإرشاد للمفيد ج1 ص281 والكافي ج5 ص5 والبحار ج29 ص465 وج34 ص64 و 138 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج1 ص310 والمبسوط للسرخسي ج10 ص35.

هجوم العدو، وليجد الفرصة لتهيئة الأسباب التي تنقله إلى مرحلة الهجوم، لأنه هو الذي يحقق الحسم للمعركة.

كما أن أفضل حالات الدفاع هو الإنتقال إلى الهجوم المضاد، لأن قوات العدو تكون مكشوفة، وعرضة للتهديد المباشر، كما أن أرضه تكون غير مهيأة للدفاع..

وهذه الفقرة تعطي أيضاً: أن من الضروري أن لا تتركز قوة المسلمين في منطقة واحدة دون سواها. بل لا بد من حفظ حالة التوازن في الإنتشار..

يضاف إلى ذلك: أن المطلوب هو أن يحفظ أهل كل ناحية ناحيتهم، فلا يتم استقدام قوى لا ارتباط لها بالأرض، لكي تدافع عنها، فإن دفاعها، واندفاعها، والجهد الذي تبذله لا يصل إلى جهد واندفاع أصحاب الأرض أنفسهم..

على أن هذا الإنتشار يساهم في منع العدو من تجميع قواته في جهة واحدة، بهدف كسر شوكة وقوة المسلمين بصورة حاسمة. فإنه لا يقدم على ذلك وهو يرى أن قوات المسلمين منتشرة، وأن بالإمكان أن تدخل عليه من أية جهة، بمجرد الإستعانة بقليل من المدد..

على أن هذا الإنتشار يتطلب وجود ما يكفي من الأسلحة، والأعتدة، والأزودة، في مختلف المواضع والجهات، فإذا حاول العدو القيام بعملية اختراق في أي موقع، فلا يحتاج صدُّه إلى مؤونة كبيرة، كما أن المعلومات الكافية تكون متوفرة، والإستعدادات قائمة، والخبرة

بالأرض وبالناس، وبالأوضاع القائمة حاصلة و.. و.. الخ..

وهذا الإجراء يفرض إعداد سرايا وكتائب، قادرة على التحرك لنجدة أية جهة تحتاج إلى النجدة، أو تسديد ضربات في مواقع مختلفة من شأنها أن تجبر العدو على الإنكفاء إلى مواقعه، والكف عن التعرض لمن بإزائه من المرابطين من أهل الإسلام.

وقد عبّر «عليه السلام» بكلمة «ناحية»، ليفيد: أن إعداد الناس للحرب وممارستهم لها يجب أن تكون شاملة لجميع النواحي، فلا يقتصر التدريب على نخبة منهم، فالكل حَمَلة سلاح، والكل قادرون على القيام بالمهمات التي توكل إليهم..

وفي جميع الأحوال نقول:

إن الإمام «عليه السلام» يشير إلى أن بالإمكان الجمع بين الدفاع المتحرك، المتمثل بالعمل على احتواء هجوم العدو واستدراجه ـ من خلال استخدام مرنٍ للقوات ـ للقتال في المواضع المناسبة لأهل الإيمان..

وإنما قال «عليه السلام»: اغز بهم، ولم يقل: أغْزِهِمْ، أو أرسلهم للغزو، ربما لكي يكون هو معهم، يحفظهم، ويرعاهم، ويكلؤهم..

ولو قال: ابعثهم للغزو، لأفاد الإنقطاع عنهم، كما يقال: أذهبه، وذهب به. فمعنى أذهبه: جعله ذاهباً. ومعنى ذهب به: استصحبه ومضى به.

وَأَمْدِدْهُمْ بِمَلائِكَةٍ مِنْ عِنْدِكَ مُرْدِفِينَ:

والإمداد المتواصل بالمقاتلين ضرورة لحفظ روحيات المرابطين والمجاهدين، وطمأنينتهم إلى وجود الناصر، وأنهم ليسوا وحدهم، بل هناك من يفكر بهم.. (فإن الإمداد هو إعطاء الشيء حالاً بعد حال).

كما أن من الضروري أن يشعر الجيش المؤمن بالله، المجاهد في سبيله بأنه موضع عناية ورعاية الله تبارك وتعالى، وأنه هو الذي يمده بالقوة وبالعون، وربما يمده بالملائكة. فإن حدث ما يتجلى فيه اللطف الإلهي، فلا بأس بالتنويه به، ولا ضير في الحديث عنه ونشره.

والمردف: هو الذي يجعل غيره رديفاً لنفسه، أو من يجعل نفسه رديفاً لغيره.

حَتَّى يَكْشِفُوهُمْ إِلَى مُنْقَطَعِ التُّرَابِ:

أي حتى يدفعوهم إلى منتهى العمارة من الأرض، حيث لا تقع العين بعده على تراب، فإن منقطع التراب هو حيث ينتهي إليه طرفه، وكشفهم أي رفعهم عما يغطونه بسلطتهم وهيمنتهم. وهو عبارة أخرى عن هزيمة العدو، وتخلّيه عن مواقعه..

وهذا يساوق القضاء التام على جميع قدراته، وإخضاعه. إذ لا مجال للإكتفاء بتبادل الضربات، لأن ذلك كما يستنزف قدرات العدو، فإنه يستنزف قدرات أهل الإيمان أيضاً..

ويتجلى هذا الإسقاط لقدرات العدو، وإخضاعه، حين يحصر

العدو في مواضع لا قدرة له على تدبير أموره فيها، فضلاً عن أن يتفرغ لمواجهة غيره.. فإنه إذا انقطع التراب، أصبح العيش متعسراً عليه، إن لم يكن متعذراً، ولم يعد يمكنه الإعداد للحرب بصورة صحيحة ومرضية، ولا التفكير فيها، بل ينشغل بنفسه، وهذا يدعوه إلى التخلي عن المنابذة والعودة إلى البخوع والخضوع..

وهذا هو التجسيد العملي لمبدأ مصادرة قدرة العدو على التفكير في الحرب فضلاً عن مباشرته لها، أو اتخاذه قرار الدخول فيها.

قَتْلا فِي أَرْضِكَ وَأَسْراً، أَوْ يُقِرُّوا بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ:

وذكر «عليه السلام»: أن المطلوب هو أن يكون نصيب المحاربين للمؤمنين، وهم المنكرون ـ غالباً ـ للوحدانية هو القتل والأسر في جميع أرض الله تعالى.. أو كشفهم إلى منقطع التراب بواسطة القتل والأسر.

وهذا يشير إلى لزوم التشدد والعنف والضراوة في حربهم إلى الحد الأقصى.. شرط أن يكون ذلك في جميع الإتجاهات، بحيث يتم سد جميع الثغرات. فإن ذلك من شأنه أن يردع العدو عن التفكير في الحرب، أو في مواصلتها، ويقطع أطماعه منها ما دام أن ثمنها سيكون باهظاً.. وأنها ستكون بهذا المستوى من العنف والضراوة..

وهذا يختلف عن سياسة علي «عليه السلام» في حروبه مع البغاة، فإنه اعترض على بعض من كان يرغب في الإمعان في قتلهم،

وقال له: «أتريد أن تقتلهم كلهم»؟![1].

وهذا هو الفرق بين المشركين والبغاة، فإن أهل الشرك يقتلون في كل أرض الله تعالى، ويؤسرون. وليس كذلك البغاة، فإن المطلوب هو درء فتنتهم، وكسر شوكتهم، وإعادتهم إلى صوابهم..

ويلاحظ: أن نسبة الأرض لله في هذه الفقرة تعطي المبرر لهذا التشدد، لأن المحارب، وخصوصاً المشرك الذي لا يعترف بالألوهية على حدها.. يجب أن يخلي أرض الله، ويخرج منها وعنها، وإلا فإن عليه أن يواجه الإجلاء عنها بالقوة، ولو بالقتل والأسر.

والجحود والإنكار لوحدانية الله سبحانه ليس من حرية الرأي في شيء، بل هو ظلم عظيم، ولا بد من محاربة الظلم، فكيف إذا كان عظيماً؟!

ومن مظاهر ظلمهم هذا، محاربتهم لأهل الإيمان، وسعيهم إلى تدمير الإيمان وأهله. لمجرد كونهم مؤمنين موحدين.

---

(1) كنز العمال ج4 ص471 والإستذكار لابن عبد البر ج5 ص133. وراجع: المحلى لابن حزم ج7 ص294.

اللَّهُمَّ وَاعْمُمْ بِذَلِكَ أَعْدَاءَكَ فِي أَقْطَارِ الْبِلادِ مِنَ الْهِنْدِ وَالرُّومِ وَالتُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالْحَبَشِ وَالنُّوبَةِ وَالزَّنْجِ وَالسَّقَالِبَةِ وَالدَّيَالِمَةِ وَسَائِرِ أُمَمِ الشِّرْكِ، الَّذِينَ تَخْفَى أَسْمَاؤُهُمْ وَصِفَاتُهُمْ، وَقَدْ أَحْصَيْتَهُمْ بِمَعْرِفَتِكَ:

ولا بد أن تكون السياسة العامة هي: وضع جميع الأعداء أمام هذا الواقع الصعب، فلا تترك الفرصة لأي فريق منهم ليستجمع قواه، ويرسم الخطط لضرب حماة الثغور، أو للعدوان على بلاد المسلمين من جهته..

كما أن على أهل الإيمان أن لا يفهموا الموضوع بطريقة خاطئة، فيظنوا أن مشكلتهم مع فئة من الناس، أو نوع، أو عرق منهم بعينه، ويكون ذلك ذريعة لحصر الصراع في ذلك الفريق دون سواه، ثم تبدأ عمليات التحريض، وإثارة النعرات والعصبيات، لتصبح هي الأساس للصراع كله، فإن هذا خطأ فادح ومميت، لأن هذه الأمور بالغة التفاهة، عديمة الصلاحية، لا تصلح لأن تكون أساساً لأي خلاف، وإنما منشأ الخلاف والمشكلة في موقع آخر أهم وأعظم من ذلك، إنها مشكلة القيم والمبادئ الإيمانية والإنسانية، التي يرفضها الظالمون والمعتدون، ويعادونها، ويحاربونها..

وتحديد أهداف الحرب والقتال، أمر هام وأساسي جداً، ولا بد من الوعي التام، والحرص الأكيد على هذه الأهداف، فلا تتعرض للتحريف، والتزوير، والتلاعب، كما هو ظاهر..

ثم إن المطلوب هو: معرفة الأعداء بأشخاصهم، وأعيانهم، والوقوف على حالاتهم، وطبيعة تقلباتهم وأوضاعهم في حياتهم الخاصة والعامة، بما في ذلك ميزاتهم الشخصية وأخلاقهم، وغيرها.. إذ الأسماء تدل على الذوات، والصفات تدل على الأحوال.

مما يعني: لزوم إعداد جهاز جمع معلومات قوي جداً، يعرف عن قرب وبدقة وانتباه.

كما أن ثمة حاجة إلى إجراء مسح دقيق يكشف تاريخ ذلك العدو.

بالإضافة إلى إعداد إحصائيات عن كل شؤونه.. ومعرفة حجمه في مختلف حالاته..

ومن ذلك معرفة قدراته، وقياداته، ومعنوياته، ودوافعه، وتدريبه وانتشاره، ومعرفة طبيعة الأرض والجو، وغير ذلك، من أجل استكشاف نواياه.

ولا بد أيضاً من الوقوف على مواضع القوة والضعف لديه، للقيام بالإعداد الصحيح والإستعداد لمواجهته بما يبطل خططه، ويحبط جهده، بخطط قادرة على تحقيق ذلك، ثم لا بد من تطوير تلك الخطط تبعاً لما يستجد من معلومات..

وإنما قلنا: إنه يجب أن تكون هذه الإحصائيات، وتلك المعرفة على درجة عالية من الدقة، لأن مبدأها ومعيارها هو معرفة الله تعالى بخلقه. بملاحظة أن المثل الأعلى هو إحصاء الله تعالى الذي لا يفوته دقيق ولا جليل.

والإحصاء: العد والحفظ.

والمراد بمعرفة الله تعالى بأعداء أهل الإيمان: علمه تعالى بهم.

وقد قيل: إن المعرفة تتعلق بالفرد، والعلم يتعلق بالنسبة الخبرية التامة.

وقد يقال: إن المعرفة تقال فيما تدرك آثاره، وإن لم تدرك ذاته، والعلم يقال فيما أدرك ذاته، فيقال: عرفت الله بنقض الهمم، ولا يقال: علمت الله. والمعرفة تقال فيما يتوصل إليه بتفكّر وتدبّر، والعلم أعم من ذلك.

وذلك كله مهم جداً في تحديد المراد من قوله «عليه السلام»: «أحصيتهم بمعرفتك»، حيث يحتاج إلى الإستدلال بالآثار، وإلى الإستنتاج. ومورد المعرفة هو الأمور الجزئية، والدقائق والتفاصيل، وهي تحتاج إلى تأمل وتدبّر.

وَ أَشْرَفْتَ عَلَيْهِمْ بِقُدْرَتِكَ:

ثم إن المعرفة بالأعداء يجب أن تكون عن حضور وحس وشهود، وهيمنة، كما يعطيه التعبير بكلمة «أشرفت عليهم»، لأن معنى الإشراف هو النظر من مكان عالٍ، وهذا يؤدي إلى الإحاطة التامة بالمنظور إليه، فالمطلوب هو:

أولاً: الإشراف، لأجل التعرف على الأحوال.

ثانياً: الإشراف بمعنى السيطرة والهيمنة من خلال القدرة..

وكلاهما يحتاج إلى وسائل وقدرات تناسبه، فلا بد من إعدادها..

الفصل السابع:

ما تتوخاه في الأعداء فيما بينهم

«اللَّهُمَّ اشْغَلِ المُشْرِكِينَ بِالمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ، وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ، وَتَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الِاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ».

اللَّهُمَّ اشْغَلِ الْمُشْرِكِينَ بِالْمُشْرِكِينَ عَنْ تَنَاوُلِ أَطْرَافِ الْمُسْلِمِينَ:

وقد جاء الحديث هنا عن المشركين، لأنهم هم العدو الظاهر في زمن صدور النص.. ويمكن أن نستفيد من هذه الفقرة: ضرورة العمل على إثارة الخلافات بين الأعداء، وإشغالهم ببعضهم البعض.

ولم يحدد «عليه السلام» المواضيع الخلافية التي يمكن إثارتها بينهم. ربما ليفيد: أن بالإمكان الدخول عليهم من أي باب كان. غير أنه قيد ذلك بما يكون من شأنه منعهم من تناول أطراف المسلمين..

والإيقاع بين أهل الكفر ميسور عادة، لتفرق أهواءهم الدينية وغيرها، واختلاف مصالحهم، وقد قال تعالى: **(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)**[1]..

وإذا عجز الأعداء عن تناول أطراف المسلمين، فسيكونون عن الوصول إلى عمق بلاد المسلمين أعجز. وهذا يمثل نوعاً آخر من الحصانة والمنعة لأهل الإسلام..

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

وهو أيسر، وأقل كلفة من مباشرة القتال معهم.. لا سيما وأن مباشرة القتال تجعلهم يسعون للتخلص من خلافاتهم مع نظرائهم، ليتفرغوا لقتال المسلمين.

وَخُذْهُمْ بِالنَّقْصِ عَنْ تَنَقُّصِهِمْ:

ولا بد أيضاً من العمل الموجب لظهور النقص في أعداد العدو، وفي عتاده، ومؤنه، وفي جميع شؤونه، وذلك باستخدام الوسائل والأسلحة الفاعلة، والمناسبة لكل نوع من هذه الأنواع..

ثم لا بد أن يكون هذا النقص الوارد عليهم في حجمه وفي تأثيره، بحيث يردعهم عن المبادرة إلى تنقص المسلمين في أطرافهم، وفي عديدهم، وعتادهم، ومؤنهم، وغير ذلك..

أي أن المطلوب هو الإستحواذ على قدرة العدو، والهيمنة على قراره وحركته كلها، بحيث يمنعه ذلك عن أي فعل مؤثر في إيراد النقص على أهل الإيمان في أي جهة من الجهات..

ولا بد أن يستمر سلبه هذه القدرة، فلا يستطيع فعل شيء من هذا التنقص الذي قد تتهيأ له الفرصة له، مرة بعد أخرى..

وَثَبِّطْهُمْ بِالْفُرْقَةِ عَنِ الاحْتِشَادِ عَلَيْهِمْ:

يقال: ثبطه عن الأمر: أي قعد به عنه، وشغله. فلا بد من العمل المؤدي إلى تفرق الأعداء إلى الحد الذي يوجب بطء حركتهم، وينتهي بمنعهم من التحشد والتجمع في مواجهة أهل الإسلام.. وتكون نتيجة ذلك: تجزئة المواجهة مع العدو. ويمكن أن يتم ذلك بتركيز الجهد في

اتجاه بعينه، ثم نقله إلى موقع آخر، قبل أن تكتمل استعدادات العدو في ذلك الموقع.. وبذلك يمنع العدو ومن حشد قواته وقدراته في هذا الموقع أو ذاك، ليمكن الإخلال بإرادته من خلال إجهاده بالضربات القوية في المواضع المختلفة دون أن يجد الفرصة للحشد المؤثر في تسجيل أي نصر له في أي موقع..

وقد يكون ذلك ببث الشائعات بينهم حول نوايا بعضهم تجاه بعض.. أو بإثارة خلافات لهم قديمة. أو بغير ذلك..

الفصل الثامن:

الأعـــداء كـأشـخـــــاص

«اللَّهُمَّ أخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الْأَمَنَةِ، وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ، وَأَدْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الِاحْتِيَالِ، وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ، وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الْأَبْطَالِ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلَائِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ، تَقْطَعُ بِهِ دَابِرَهُمْ وَتَحْصُدُ بِهِ شَوْكَتَهُمْ، وَتُفَرِّقُ بِهِ عَدَدَهُمْ»..

1 ـ اللَّهُمَّ أَخْلِ قُلُوبَهُمْ مِنَ الأَمَنَةِ:

ومن المفيد أيضاً: إشعار العدو بأنه في معرض المفاجأة في أي وقت، وأي مكان. لكي يبقى في خوف دائم، فلا يشعر بالأمن في أي ساعة أو لحظة.

وهذا يؤدي إلى إصابتهم بالإرهاق والتعب النفسي، ويذهب بصبرهم، ويؤدي بهم إلى الخرق والنزق، وارتجال المواقف، وتظهر من ثم الثغرات في قراراتهم وتصرفاتهم.

وتحقيق ذلك قد يحتاج إلى القيام بعمليات متنوعة، وفي مختلف الأزمنة والأمكنة، تزرع الخوف في قلوبهم من كل شيء. وتشعرهم بقدرة المجاهدين على الوصول إليهم في كل حين، وفي كل موقع، وبأنهم ملاحقون فعلاً. ومستهدفون في كل لحظة.. وأن تراودهم الشكوك في كل ما ومن حولهم.

2 ـ وَأَبْدَانَهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ:

وبما أن رعبهم المستمر يحتم عليهم بذل جهد مضاعف، فإنه سوف يستنزف قواهم البدنية، ويكون الإنهيار..

وقد يكون من المفيد أيضاً القيام بضرب بعض منشآتهم، لكي يضطروا لبذل جهود بدنية لإعادة بنائها، أو مواجهتهم بما يوجب قلقهم وفزعهم، حتى لا يلذ لهم نوم، وتضعف قوتهم بسبب السهر والأرق، والجهد المضني.

3 ـ وَأَذْهِلْ قُلُوبَهُمْ عَنِ الاحْتِيَالِ:

ولا بد أيضاً من إثارة الأمور الرنانة والمدوية، التي تستأثر باهتمام الأعداء، وتضطرهم إلى التفكير فيها، بحيث يذهلون عما سواها، وينصرفون عن التماس المخارج من المآزق الحقيقية التي هم فيها، ولا يبقى لديهم حذق في التدبير، ولا يتمكنون من تقليب الفكر، وإعمال الرأي..

وينبغي أن لا يقتصر الأمر على شؤون الحرب، بل المطلوب هو أن يعم ذهولهم ويشمل كل أمر يهمهم، ويحتاج خروجهم منه إلى التدبير، وحسن الحيلة..

4 ـ وَأَوْهِنْ أَرْكَانَهُمْ عَنْ مُنَازَلَةِ الرِّجَالِ:

والأركان كما قيل: هي الجوارح التي يعتمد عليها، كالأيدي ونحوها مما يقوم به الجسد، ويستند عليه.. فإذا وهنت هذه الأركان، وضعفت، لم يعد الإنسان قادراً على منازلة الرجال.

فلا بد من التدبير الذكي، الذي يؤدي إلى وهن أركانهم، فيمكن الإستفادة من كل ما يؤدي إلى ذلك، حتى لو كان ذلك باستخدام بعض الوسائل الموهنة لأجسادهم، وقد يكون من ذلك حملهم على معاناة

أعمال صعبة، تحتاج لبذل جهد وتعب وسهر.. فإذا وهنت أركانهم، فإنهم سوف يتحاشون الدخول فيما يحتاج إلى جهد وقوة..

5 ـ وَجَبِّنْهُمْ عَنْ مُقَارَعَةِ الأبْطَالِ:

والمطلوب أيضاً هو: جعلهم يجبنون عن مقارعة الرجال، فلا بد من

دراسة وسائل الوصول إلى هذه الغاية، سواء أكان ذلك بالإعلام المثبط للعزائم، أو بالقيام بعمليات تبعث الرعب في قلوبهم، أو بنشر الإشاعات التي تخدم هذا الهدف، أو بالترويج لأي شيء يفيد في ذلك، أو إشاعة تعاطيه فيما بينهم.

ونستفيد من هذه الفقرة: أن الجبن أمر يمكن إيجاده في النفوس بعد أن لم يكن.. فلا بد من دراسات تفيد في معرفة وسائل ذلك.. فإن المطلوب هو حصول الجبن الحقيقي، المانع من مقارعة أي بطل كان، خصوصاً أبطال أهل الإسلام.

ولعل الأمور الخمسة المتقدمة تستند إلى مبدأ المفاجأة للعدو في الزمان والمكان غير المناسب له، فإن من يكون قادراً على الإستفادة من هذا المبدأ، ويباشر الإستفادة منه بصورة صحيحة وناجحة سوف يحقق هذه النتائج بلا ريب، لأنه سينتج عنه امتلاء العدو رعباً، وإبطال خططه، وعجز قادته وجنوده عن اتخاذ القرارات القتالية، بل الوقائية الصحيحة.. واليأس من الحصول على نتائج حاسمة ومرضية من المواجهة.. حيث إن المفاجأة أفقدته القدرة على المبادرة، وعلى

احتواء الموقف.

علماً، بأن الإستفادة من عنصر المفاجأة لا يحتاج إلى قدرات متفوقة، ولا إلى عديد كثير..

وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ جُنْداً مِنْ مَلائِكَتِكَ بِبَأْسٍ مِنْ بَأْسِكَ كَفِعْلِكَ يَوْمَ بَدْرٍ:

ولا بد أن يتوجه المرابطون المؤمنون إلى الله تبارك وتعالى، وأن يشعروا بالحاجة إليه، وبأنهم لا حول ولا قوة لهم إلا به، وأن يطلبوا منه أن يمدهم بملائكته، وأن يعلموا: أن كثرتهم لا تغني عنهم شيئاً، كما لم تغن عن المسلمين شيئاً يوم حنين ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً**﴾[1].

وعليهم أن يقتنعوا بأن القلة والكثرة ليست هي الميزان في النصر. بل القلة تنتصر على الكثرة إذا كان الله تعالى هو الناصر ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ**﴾[2]، وأن يضعوا نصب أعينهم نصر الله لعباده في بدر، وأنه أمدهم بالملائكة، وكثر بهم قلتهم في أعين المشركين، وأن يكون هناك جهد تربوي لتركيز هذا المفهوم في عقول وقلوب المرابطين من أهل الإيمان.

ولا بد لهم من أن يطلبوا منه تعالى أن يواجه أهل الكفر ببأس من

---

(1) الآية 25 من سورة التوبة.

(2) الآية 249 من سورة البقرة.

بأسه على يد ملائكته، فإذا اعتقد المقاتل أن كثرته لا تغني عنه، وأن النصر بيد الله، وأن الله ينصر عباده مهما قل عددهم، وأنه يكثر قلتهم بملائكته، فإنه يصبح في مأمن من الغرور بالنفس، وبالقدرات التي هيأها، ويزداد شعوره بالحاجة الى الله، وبالرغبة في نيل رضاه، واستنزال نصره.

فالإمام «عليه السلام» يطلب الجند من الملائكة، لا ليكون حضورهم لمجرد التكثير والمعونة، بل يريد «عليه السلام» أن يكون معهم عذاب الله أو بأس من بأسه تبارك وتعالى، ليصبوه على أعدائه.

وهذا يعطي: أن على المرابطين أن يلتجأوا إلى الله عز وجل ليرسل إليهم من جنده، ليكون ذلك علامة رضاه عليهم، وغضبه على أعدائهم.. كي يفرح المؤمنون بنصر الله.. ويكبت أعداءهم، ويخزيهم، ويذلهم بذلك.

تَـقْـطَعُ بِـهِ دَابِـرَهُمْ:

الدابر ـ كما قيل ـ: أصل الشيء.

وقيل: هو آخره، أو آخر ما بقي منه..

والذي يبدو لنا: أن دابر الشيء ما يكون في حالة إدبار وتلاشٍ، بصورة طبيعية.. فالمراد: الكناية عن استئصال العدو بكل مراتب الإستئصال.

ولا بد أن يكون ذلك هو ما يطمح إليه أهل الإيمان، وهو غايتهم، وله وبه يكون همهم وهمتهم، وهو محط نظرهم، ولأجله يكون

إعدادهم واستعدادهم، لا مجرد دفع العدو عن البلاد، أو عن الأطراف، إذ يمكن للعدو أن يجمع صفوفه ويبني قوته من جديد، ويعيد الكرة، ولا يفيد بعد ذلك الندم ولا تنفع الحسرة..

وَتَـحْصُدُ (وَتَـخْضُدُ) بِـهِ شَوْكَـتَـهُمْ :

الشوكة: شدة البأس، والقوة في السلاح، أو الحدة.

وحصده حصداً: قطعه.. وخضد: قطع.

وغني عن البيان: أن كسر حدة اندفاع العدو أمر هام في التمهيد لحسم الأمور، لا سيما وأن العدو الذي لا علاقة له بالله إنما يعتمد على سلاحه ووسائله المادية بالدرجة الأولى، فإذا سقطت هذه وتلك عن التأثير، وبطل عملها، فسيضيع ويقع في الإرتباك والحيرة، وتتلاشى آماله، وتنتقض أحواله..

وَتُـفَـرِّقُ بِـهِ عَـدَدَ هُمْ :

وحيث إن المفروض بالعدو الذي يريد خوض الحرب هو: أن يعبئ قدراته ويحشد عديده، فقد جاء التوجيه في هذا الدعاء الشريف إلى ضرورة منع العدو من تحقيق هذين الأمرين. ولو بتسديد ضربات استباقية تؤدي إلى بعثرة جهده في تعبئة القدرات، وفي بعثرة ما حشد من عديد القوات..

وحتى لو لم يمكن حصول ذلك في البدايات، فإنه بعد كسر الحدة، وإبطال فعل السلاح، يأتي دور تفريق عدد الأعداء، حيث إن نفس الإجتماع، وظهور الكثرة في العدو يعطيه نفحة قوة، وبصيص أمل

بإعادة التجهيز، وتلافي النقص. وتبدأ عملية مراجعته لأسباب الهزيمة، واجتراح المبررات والمعذرات لها. وإطلاق الوعود بإحكام الأمور، وعدم تكرار الأخطاء..

ثم إن تجمع الأعداء يوحي للناظر بقوة أخرى قد يتخيلها أكبر من حجمها الطبيعي، هي حاصل اجتماع هذه الأفراد والأعداد..

أما حين يصبح الجمع أفراداً متفرقين، فإنه يراهم مجرد جزئيات تحتاج إلى تخيل حالة الإنضمام.. وقد يتوانى الفكر عن ملاحقة هذه الحالة، ويتقاصر عن استنزال هذا الخيال وينصرف عنه، إلا إذا أريد تعمد إرادة ذلك منه، وجره إليه..

وحتى لو فعل ذلك، فإن تصور حالة الإجتماع وتفاعلها فيما بينها وتأثيرها، يبقى هو الآخر في دائرة الإفتراض والتخيل، الذي يعجز عن إعطاء الإنطباع عنه بالمستوى الذي يظهره مشاهدة الإجتماع الفعلي للأعداد، ورؤية حجمها وكثرتها.

وهذا يفسر إلى حدٍ مَّا التعبير بكلمة «عددهم»، بدل كلمة «جمعهم»، فإن القاعدة والحساب هنا إنما هو للأفراد، ولعددهم. وهي الأساس الذي يكون الإنطلاق منه، وليس الجمع هو الأساس والمنطلق.

وأخيراً.. فإننا نلاحظ: أن هذا الدعاء لا يزال يؤكد على أنه لا بد من أن نولي عناية خاصة للتأثير على العدو، قيادات وأفراداً، ولو بالسعي لإرباكه في خططه، ولإحباط أفراده نفسياً، وتحضيرهم

للهزيمة.. والقيام بكل ما يؤكد لديهم الشعور الدائم بالخطر، حتى لا يجدون فرصة لالتقاط الأنفاس، ولا يمكنهم التخطيط الهادئ، ويفقدون بذلك زمام المبادرة..

«اللَّهُمَّ وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَأَطْعِمْتَهُمْ بِالْأَدْوَاءِ، وَارْمِ بِلَادَهُمْ بِالْخُسُوفِ، وَأَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ، وَافْرَعْهَا بِالْمُحُولِ، وَاجْعَلْ مِيرَهُمْ فِي أَحَصِّ أَرْضِكَ وَأَبْعَدِهَا عَنْهُمْ، وَامْنَعْ حُصُونَهَا مِنْهُمْ، أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ الْمُقِيمِ وَالسُّقْمِ الْأَلِيمِ»..

اللَّهُمَّ وَامْزُجْ مِيَاهَهُمْ بِالْوَبَاءِ، وَأَطْعِمَتَهُمْ

بِـا لأدْ وَ ا ءِ :

قلنا فيما سبق: إن الإمام «عليه السلام» قد طلب من الله تبارك وتعالى أن يحول نعمة الماء والطعام التي لم يحفظها الطغاة والجبارون، بل جعلوها من وسائل التقوي على أهل الحق، وارتكاب الجرائم والمخزيات في حق الإنسانية ـ طلب من الله تعالى ـ أن يحولها إلى مرض ووباء يتعذر عليهم الإستفادة منه ما داموا يمارسون هذا الظلم البغيض، ويحاربون الحق وأهله..

هذا إن لم نقل: إن المقابلة بالمثل حق معترف به إذا لم يمكن ردع المعتدي عن عدوانه إلا بذلك، ونحن نريد أن نسوق الحديث هنا على سبيل التجسيد الحي لما طلبه الإمام «عليه السلام»، فنقول:

لقد طلب «عليه السلام» أن تمزج مياه الأعداء بالوباء. فإذا أصبحت المياه ملوثة، على نحو الإمتزاج الذي لا يقبل الإنفكاك عادة إلا بفقد الماء لهويته، فإنه سيصبح سبباً لانتشار الأوبئة، وكذلك الحال إذا أصبحت أطعمتهم مصدراً للأمراض بسبب الإمتزاج الذي لا يقبل الإنفكاك، فإن ذلك سيشغلهم بأنفسهم عن أهل الإيمان، ويكون من أسباب كسر شوكتهم، وذهاب ريحهم، من دون أن تتعرض أرواح أهل الإيمان وسلامتهم لأي خطر..

وقد أجازت أمريكا لنفسها أن تضرب هيروشيما وناكازاكي بالقنابل الذرية، فلماذا لا يجوز لنا أن نطلب من الله أن يربك العدو المحارب، ويلهيه عنا بتلوثات تصيب مياهه وأطعمته، ولو بأن يفعل

ذلك العدو بنفسه؟! أو يحصل له بأي سبب آخر؟!

ونحن حين نتحدث عن هذا الأمر، فإنما نتحدث عنه بالنسبة للمقاتلين.

والفرق بين الوباء والداء ظاهر، فالوباء هو الموت الذريع الذي ينتشر بسرعة كالطاعون.. والداء هو المرض. سواء أقام في البدن، أو تعافى البدن منه.

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» خص الوباء بالمياه، والأمراض بالأطعمة، ربما لأن الماء يساعد على انتشار عدد من الأوبئة، وربما يكون هو المصدر لها..

يضاف إلى ذلك: أن الماء نوع واحد، لا يمكن لأحد أن يستغني عنه، أو أن يعيش بدونه.. أما الطعام، فهو وإن كان لا غنى عنه، ولكن تنوعه وكثرته، وتعدد الخيارات، وإمكانية استبدال نوع بنوع يقلل من إمكانية، أو يصعِّب جعل الداء في أنواعه المختلفة، ولذلك طلب «عليه السلام» جعل الوباء والموت في الماء الذي لا غنى عنه..

أما ما يمكن الإنتقال عنه إلى غيره، فقد طلب «عليه السلام» جعل المرض فيه، حتى إذا انتقل عن هذا النوع إلى غيره، ثم جعل الداء في الغير، فإن إمكانية العودة إلى الأول، أو الإقدام على اختيار جديد تبقى قائمة..

وَ ارْمِ بِلادَ هُمْ بِالْخُسُوفِ:

ثم إن عدم استقرار الأرض تحت الأقدام، والخوف من انخسافها،

يعد من أقوى أسباب الهزيمة النفسية، وفقدان ثقة الإنسان بنفسه، وبما يخطط له، ويعدّه.. لا سيما وأن الأرض رمز الثبات والإستقرار، وهي تمثل الصلابة، والقوة، فكيف ستكون الحال إذا أصبحت هي سبب الخوف والرعب، والتضعضع، والإختلال؟! حيث ينشغل الإنسان بنفسه، ليتمكن من حفظ الإستقرار والثبات لها، وتتوزع اهتماماته، وتتضاعف مشكلاته..

ويلاحظ: التعبير بكلمة «ارم» الظاهرة في السرعة، ولم يقل: اخسف، التي لا تدل على ذلك، كما أن التعبير بكلمة «الخسوف» صريحة بطلب التعدد والكثرة، ولم يقل: اخسف بهم. لأنه إن أمكن النجاة من خسف، فلا نجاة لهم من سائر الخسوف التي تلم بهم.

كما أن كلمة «بلادهم» جاءت بصيغة الجمع، الظاهر في أن المطلوب هو شمول الخسف لجميعها..

وَأَلِحَّ عَلَيْهَا بِالْقُذُوفِ:

وقد طلب «عليه السلام» مواصلة استهداف بلاد العدو بالقذوف والنوازل بإلحاح، وكان الناس في السابق يستفيدون من المجانيق الضخمة لإسقاط الصخور والنيران، ومن المقاليع لقذف الحجارة على مكان تواجد الأعداء، وعلى بلادهم..

فالمطلوب هو استمرار رمي الله لهم بالبلايا والنوازل، كما أن المطلوب هو المواظبة على قذف أماكن تواجدهم بأنواع القذائف، فلا يشعرون بالأمن في أية لحظة..

والقذوف جمع قذف. وهو دليل على أن التعدد ومواصلة القذف والرمي.. كما أن النوع مطلوب، وقد يشير إلى ذلك أنه «عليه السلام» لم يشر إلى المرمي، فقد يكون حجراً، وقد يكون ناراً، أو أي شيء آخر من وسائل التدمير والتخريب..

وَ افْـرَعْهَـا بِـالْـمُحُولِ:

أي لتكن الضربات على فرعها، أي ساقطة عليها من فوق. أي إضربها من أعلى بأنواع الجدب والقحط، بحيث يشمل أنواعاً متعددة..

وقد جاءت كلمة المحول بصيغة الجمع ليشمل كل شيء يطلب الخصب والزيادة فيه.. فإذا أصابه المحل، والإنقطاع، وكان ذلك شاملاً لمختلف الجهات الحيوية والأساسية لحياتهم، فإنه سيعيق خططهم العدوانية، وسيقصر من خطواتهم باتجاه التعديات على بلاد المسلمين، وسيدعوهم إلى الإقتصاد في نفقات الحرب، والإنكماش والتقوقع في داخل بلادهم..

ولعل اختيار كلمة «افرعها» بدل اضربها، ليفيد أن المحول تكون هي المهيمنة على البلاد، ولا سبيل للهروب منها، ولا منعها من إصابتهم بحدة وبشدة..

وَ اجْعَلْ مِيَـرَهُمْ فِـي أَحَضِّ أَرْضِكَ وَ أَبْـعَـدِهَـا عَـنْـهُـمْ:

فإذا رميت بلادهم بالخسوف، وألحَّت عليها القذوف، وفُرِعت بالمحول. وكانت مياههم قد مزجت بالوباء، وأطعمتهم بالأدواء، فمن

الطبيعي أن لا يتهيأ لهم أي طعام أو ماء، أو عدة أو عتاد من أرضهم، بل عليهم أن ينتظروا المدد من خارجها، وهو ما يسمى بالميرة. فجاءت الخطة التالية الهادفة إلى أن يعمل المسلمون على إلجاء أعدائهم، إلى أشد البلاد جدباً.

فإن الحص حلق الشعر، والحاصة: داء يتناثر منه شعر الرأس.

وانحص شعره: تناثر وذهب.

وأحص البلاد: أكثرها جدباً، وقد ذهب بنيانها وخضرتها ونضارتها كما يذهب شعر الرأس.

فإذا أصبحت الميرة، وهي الطعام المجلوب من خارج البلاد، في أبعد البلاد مسافة، وفي أكثرها جدباً، فإن الخوف من انقطاعها بالجدب، وبقطاع الطرق، وبمهاجمة أعدائهم لقوافلها، مع عدم إمكان حمايتها منهم، وصعوبة وصول النجدة إليها لتخليصها. إن ذلك كله يوجب إثارة بلابل الصدور، والقلق الذي لا يداويه ولا يدفعه شيء، ولا بد أن يشغلهم ذلك عن التفكير باستنباط الخطط، والإعداد للحرب..

فلا بد من العمل على حصر ميرهم بتلك البلاد المبتلاة بالجدب الشديد.. ولو بتكثير الغارات على القوافل الناقلة لها، وإشاعة أجواء الخوف من حملها ونقلها، أو انتهاج سياسات معينة تؤدي إلى ذلك، كالقيام بمبادلات تجارية مع البلاد القريبة، ولو بأموال زائدة على المتعارف، واشتراط عدم بيعها شيئاً من ذلك لذلك العدو المحارب،

ونحو ذلك..

وَ امْـنَـعْ حُصُونَـهَـا مِـنْـهُمْ:

الضمير في الحصون: إن كان راجعاً للميرة، التي يحتاجون إليها، فهو كناية عن امتناع وصولهم إلى تلك المواضع، لأن الحصن يمنع الآخرين من الوصول إلى ما في جوفه، لشدة مناعته، أي لا بد من إيجاد موانع قوية جداً، تجعل وصولهم إلى الميرة متعذراً..

وإن كان راجعاً إلى الأرض فيكون المراد: أن لا يتمكن الأعداء من الوصول إلى تلك الحصون، ومن دخولها، حتى لا يبقى لهم ملجأ أو ملاذ يلجأون إليه لحماية أنفسهم، فلا بد من العمل على تحقيق هذا الهدف أيضاً..

أَصِبْهُمْ بِـالْـجُوعِ الْـمُقِـيمِ:

وقد ركزت فقرات هذا الدعاء الشريف على الناحية الإقتصادية بصورة كبيرة ولافتة، الأمر الذي يشير إلى أهمية ومدى تأثير الحرب الإقتصادية على العدو في قراراته، وفي سير عملياته، فلا بد من انتهاج سياسات تؤدي إلى محاصرة العدو إقتصادياً، وضرب منشآته الحيوية في هذا المجال.. ليواجه الشدائد والصعوبات الكبيرة جداً في هذا المجال. وهو ما عبر عنه «عليه السلام» بقوله: «أَصِبْهُمْ بِالْجُوعِ المُقِيمِ» الدال على ضرورة أن يستمر ذلك آماداً طويلة.

ولذلك نلاحظ: أن أعداءنا يهتمون بصورة لافتة بإشغالنا عن زراعتنا إلى حد تلاشي الزراعة، وبضرب سدودنا، أو إتلاف

محاصيلنا، أو ضرب مخازن تموينا، أو العمل على أن تنفق مواشينا، وأن تنضب مياهنا الزراعية، ومنعنا من إيجاد البديل، حتى يهاجمنا الجوع الدائم، ولا نستطيع التخلص منه بأي حال من الأحوال..

ومن الواضح: أنه إذا عمَّ الجوع الناس كلهم فعلاً، فإن الأمور ستتخذ إتجاهات أخرى، وسينشغل الناس وحكامهم بمعالجة هذا الأمر.. قبل أن تظهر آثاره السلبية خللاً بالأمن الإجتماعي، وأن يشيع السلب والنهب، وتكثر التعديات، فإن الأمور إذا بلغت إلى هذا الحد، فلا مجال للتفكير في حرب ولا في سواها. بل يصبح همُّ كل منهم حفظ نفسه، وحمايتها، وتأمين ما يقيم أوده، ويحفظ له خيط الحياة.

فاتضح: أن الحرب الإقتصادية لها تأثير مباشر في النصر على العدو، وهي من أهم أنواع الحروب.. ولذلك كثر التركيز عليها في هذا الدعاء.

ويلاحظ: أنه ليس في هذه الجملة عاطف، وذلك ليشير إلى كمال الإتصال بينها وبين ما قبلها. ولعل هذا يفيد في ترجيح الإحتمال الأول في فقرة: «وامنع حصونها منهم».

وَالسُّقْمِ الأليمِ:

فإذا صاحب الجوع سقم، أي مرض يطول ويستمر، ومعه أوجاع أليمة، فقد اكتملت عناصر النصر على العدو.. كما هو ظاهر لا يخفى..

الفصل العاشر:

ما تتوخاه في المرابط والغازي في ساحات الجهاد

«اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى وَحِزْبُكَ الْأَقْوَى وَحَظُّكَ الْأَوْفَى فَلَقِّهِ الْيُسْرَ، وَهَيِّئْ لَهُ الْأَمْرَ، وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ، وَتَخَيَّرْ لَهُ الْأَصْحَابَ، وَاسْتَفْرِ لَهُ، الظَّهْرَ، وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ، وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ، وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ، وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ، وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ. وَأَثْرِ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ، وَتَوَلَّهُ بِالْعَافِيَةِ، وَأَصْحِبْهُ السَّلَامَةَ، وَأَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ، وَارْزُقْهُ الشِّدَّةَ، وَأَيِّدْهُ بِالنُّصْرَةِ، وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ، وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَاعْزِلْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ

اللَّهُمَّ وَأيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ لِيَكُونَ دِينُكَ الأعْلَى وَحِزْبُكَ الأقْوَى وَحَظُّكَ الأوْفَى:

وقد أشارت هذه الفقرة إلى أهداف جهاد العدو، فلاحظ ما يلي:

1 - ذكر الواو العاطفة بعد كلمة «اللهم» ليشير إلى كمال اتصال ما بعدها بما قبلها، حتى استحقت أن تعطف عليها.

2 - كلمة «أي» اسم شرط، وهي مبتدأ، وخبرها ما بعدها بدليل مجيء الفاء في الجواب..

3 - كلمة «ما» مزيدة، لتأكيد معنى «أي»، ولزيادة إبهامها.

4 - الملة: ما شرعه الله لعباده، على ألسنة أنبيائه. وتستعمل في جملة الشرائع لا في آحادها.

وقيل: الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمى ملة، ومن حيث يتعبد بها تسمى ديناً..

5 - المجاهد أعم من الغازي. فالغزو يكون لبلد العدو، والجهاد قتال العدو بمشقة في كل مكان..

ولعل الإهتمام بمبدأ الغزو في هذا الدعاء يشير إلى ضرورة اعتماد مبدأ الهجوم، وعدم الإكتفاء بالدفاع عن المواقع والثبات فيها، فإنه «ما غزى قوم في عقر دارهم إلا ذلوا»[1]. والهجوم هو الذي يحقق الأهداف من الحرب ويحسم الأمور فيها.

6 ـ الأعلى: الأقوى، والأرفع شرفاً ومقاماً. والتعريف بلام الجنس ليفيد قصر وحصر العلو به دون سواه.

وكلمة «الأعلى» لا تفيد التفضيل، إذ لا علو لغيره تبارك وتعالى..

7 ـ الحظ: النصيب، أي نصيبه من الدين، والإقبال والدولة..

8 ـ لقَّاه الشيء: ألقاه إليه.

وبعدما تقدم نقول:

---

(1) راجع المصادر التالية: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص68 والكافي ج5 ص5 ودعائم الإسلام ج1 ص390 والمهذب للقاضي ابن البراج ج1 ص323 والمبسوط للسرخسي ج10 ص35 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص310 وج3 ص3 وكتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري) ص213 والغارات للثقفي ج2 ص475 وشرح الأخبار ج2 ص75 والإرشاد للمفيد ج1 ص281 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص256 وبحار الأنوار ج29 ص465 وج34 ص64 و 138 ونهج السعادة للمحمودي ج2 ص561 و 571 وج5 ص313 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص74 و 84 والأخبار الطوال للدينوري ص310.

تحدثت هذه الفقرة عن أشخاص أهل الإيمان، من حيث هم أفراد، يتخذون قرار الدخول في حرب المشركين. لأن هذا القرار يرجع إليهم بما أنهم مكلفون بعمل عبادي.. ولا يصح إجبارهم على اعمالهم العبادية، لأن ذلك يبطل العبادة، من حيث إنه يفقدها قصد القربة، وبذلك يبطل أجر المقاتل، وإن قتل في هذه الحال كان قتيلاً، لا شهيداً..

ثم هي أكدت إبهام كلمة «أي» بواسطة زيادة كلمة «ما» حيث قال: «وأيما» لتشير إلى أن هذا الأمر لا يختلف فيه الشريف والوضيع، والرئيس والسوقة، والقريب والبعيد الخ.. فهو كالصلاة التي يطالب بها، ويحاسب عليها كل أحد..

وقد أفاد ذلك أيضاً أن الغزو والجهاد مفروضان على أشخاص الناس، على نحو الوجوب الكفائي تارة، والعيني أخرى..

ولعله ذكر الغازي أولاً ليشير إلى تمييزه عن سائر المجاهدين، بإقدامه على ما قد يتردد بالإقدام عليه كثير غيره، وربما يكون تقديمه بالذكر من أجل أن يترقى منه إلى رتبة أعلى. وهي رتبة المجاهد:

أولاً: لأن المجاهد يعتبر الجهاد عبادة.

وثانياً: من حيث إنه يجد نفسه ملزماً بتأدية هذه العبادة في جميع أحواله، وليس له أن يتخير أي نحو من أنحاء الجهاد وموارده على غيره، بحيث يكون ذلك سبباً في ضعف إقدامه في أي ناحية أخرى عما ينبغي أن يكون عليه..

ولعل هذا يتلاءم مع قوله: «من أهل ملتك»، الظاهر بإرادة إضافة هذا الغازي إلى المسار العام، ثم عبر بكلمة «من أتباع سنتك»، الظاهر في أن المجاهد يتوخى بجهاده التقرب إلى الله، واتباع السنن الإلهية..

وقيل المراد بالغازي: من أراد الغزو.

ولكننا نقول:

الظاهر هو أن المراد به: من اتخذ قرار الغزو، وباشر تطبيق قراره بصورة عملية.. ولأجل ذلك جاءت الفقرات التالية لتبين ما يحتاج إليه في كل مرحلة من مراحل عمله.

ولو كان المراد مجرد أرادة الغزو، لكان التعبير بصيغة المضارع: «ويغزوهم» و «يجاهدهم» أقرب وأنسب.

ونستفيد مما تقدم: أن المطلوب هو تهيئة غزاة من أهل الإسلام، وإعدادهم وفق ما تتطلبه هذه المهمة من تدريبات واختصاصات مختلفة، وتجهيزهم بالمعدات والوسائل المناسبة.

كما أن المطلوب هو إعداد مجاهدين ذوي معرفة بالإختصاصات المختلفة، تمكنهم من ممارسة المهمات التي توكل إليهم، مهما تنوعت واختلفت.

ثم أشارت الفقرة المتقدمة إلى لزوم وضوح الهدف من الغزو والجهاد لدى الغازي والمجاهد.. وان لا يكتفي بمجرد إثارة الحماس والإندفاع.

ويجب أن لا يكون هذا الهدف شخصياً، ولا دنيوياً، بل يكون إلهياً أولاً، ثم لمصلحة أمة أهل الإيمان ثانياً، من حيث هم أهل الله، وحزبه، وينتسبون إليه.. لا من حيث انتسابهم إلى أعراق قبلية أو عنصرية، أو انتمائهم إلى الجغرافيا، ولا للحصول على العظمة والجاه. ولا لأجل الحصول على القدرات المادية، كالأموال، والتجارات، وامتلاك مصادر الطاقة، والثروة والغنى، وما إلى ذلك..

ولذلك حددت الفقرات الهدف بأن يكون:

دين الله هو الأعلى، أي هو المهيمن وحده، إذ لا علو ولا شرف لغيره..

وأن يكون حزب الله هو الأقوى.. وحظ الله هو الأوفى..

ولنا حول المقصود من «حزب الله» الذي يجب إيجاده وإعداده كلام يحسن الوقوف عليه، من أجل إعداد الخطط المناسبة للمواصفات المطلوبة فيه[1].

ويلاحظ هنا:

أولاً: أن المطلوب هو تحقيق الهيمنة والإعلاء لدين الله، وذلك من خلال العمل والإلتزام المستمر بأن تجري الأمور وفقاً لأوامره ونواهيه. وتتخذ منحاه، وتتوخى ما يتوخاه.

---

(1) راجع هذا البحث في كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام» ج3 ص37 - 70.

ثانياً: هناك مطلوب آخر يجب تحقيقه وهو الأقوائية لحزب الله تبارك وتعالى.

ثالثاً: أن يكون حظ الله هو الأوفى في كل شيء، وذلك يعني: أن تصبح كل الأمور مرتبطة به سبحانه، ومنتهية إليه، من حيث التقرب إليه بها.

ولكن بما أن جعل كل شيء لله تعالى لا يتحقق، بل يبقى هناك نصيب للإنسان في أعماله، خصوصاً ما يوافق منها هواه، وميوله، جاء قوله «عليه السلام» ليفيد: أن المطلوب هو أن يكون معظم الأعمال لله سبحانه وتعالى.. على حد قوله تعالى: **(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا..)**[1].

ثم بدأ «عليه السلام» يحدد ما يحتاج إليه الغازي والمجاهد في مسيرته الجهادية، فقال:

فَـلَـقِّـهِ الْـيُـسْرَ:

تقدم: أن معنى قوله «لقّه»: أي ألق إليه اليسر مرة بعد أخرى.. فالمطلوب هو تيسير الأمور للغازي والمجاهد باستمرار، فلا يواجهونه بالعراقيل وبالصعوبات، ولا بالروتينات الإدارية المرهقة، والمملة، التي تجعله يزهد فيما يقدم عليه، ويعيش الشعور بالحرمان والمقت، وكأنه يواجه العقوبة لمجرد أنه يريد الجهاد في سبيل الله

---

(1) الآية 77 من سورة القصص.

تبارك وتعالى.. ثم يدفعه ذلك إلى أن يظن بمن كان يتوقع منهم العون: أنهم لا يهتمون براحته، أو أنهم قد يفرطون فيه.. بل قد يشعر أنهم أعداؤه، وأن الجبهة الداخلية أصبحت مخترقة، وغير مأمونة. وهذه من أصعب الأدواء التي قد تنتهي بالكارثة..

وَهَيِّئْ لَهُ الأَمْرَ:

ثم تأتي مرحلة التهيئة والإعداد، وإصلاح ما يحتاج إلى إصلاح، حيث لا بد من السعي لهذا الأمر، لأن المجاهد قد لا يكون قادراً على ذلك. وحتى لو قدر عليه، فلماذا يطلب منه هو أن يتحمل أعباء ذلك؟! ألا يكفيه تعريضه نفسه للأخطار الجسام؟!

فلا بد من تشكيل فريق يتولى القيام بهذه المهمة، وتوضع الإمكانات تحت يده وباختياره.

وَتَوَلَّهُ بِالنُّجْحِ:

وقد دلت هذه الفقرة على لزوم إنجاح المجاهد في حاجاته، وقضائها له. على أتم وجه وأصحِّه.. حتى لو كانت حاجات شخصية، بل إطلاق هذا الكلام يشمل كل حاجة له، حتى لو لم يكن لها ارتباط بالقتال أصلاً.

وَتَخَيَّرْ لَهُ الأَصْحَابَ:

والصاحب الموافق في السفر، يبعث الراحة والبهجة في النفس، فلا بد من انتقاء الصاحب الصالح.. الرضي.. فإن التعبير بكلمة «تخير» يدل على تكلُّف طلب ما هو الخير، والأفضل من

الأصحاب..

ويلاحظ: أن ذلك لم يوكل أيضاً للمجاهد والغازي نفسه، بل جعل من الأمور التي يعان بها.. فلا بد من كفايته ذلك، وإنشاء فريق يتولى هذه المهمة، من موقع البصيرة بالمواصفات، والمعرفة بالأشخاص، لأن المكلف نفسه قد لا يتيسر له معرفة من سيكون معه في هذا السفر الخطير، ولو عرفه، فربما لا يعرف الكثير عن أحواله، وأخلاقه، ومدى صلاحه..

وَاسْتَقْوِ لَهُ، الظَّهْرَ:

ولا بد من اختيار وسائل النقل والحمل القوية، لأن أي ضعف فيها سوف ينعكس على الغازي والمجاهد، ويوقعه في المحذور، ويسبب له الإرباك، حين يتبين عدم قدرة تلك الوسائل على القيام بما يراد لها أن تقوم به..

وينسحب هذا على جميع الوسائل الأخرى، حيث لا بد أن تتوفر فيها القوة والقدرة على إنجاز ما يراد إنجازه من خلالها، فتمس الحاجة إلى تشكيل فريق قادر على القيام بهذه المسؤولية من موقع خبرته واختياراته..

وَأَسْبِغْ عَلَيْهِ فِي النَّفَقَةِ:

الإسباغ في النفقة: توسعتها، وإفاضتها، بحيث تقضي حاجات المرابط والغازي، وتزيد.

ولا بد من القيام بذلك حتى يكون همَّ المرابط والغازي في جهاد

العدو هماً واحداً، كما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»[1].

ولا بد من دراسة طبيعة أوضاع المجاهد والغازي، والتعرف على نوع حاجاته، فإن الناس يختلفون في ذلك..

فقد يكون لبعضهم مسؤوليات كبيرة، أو يكون من ذوي الشأن، الذين يتوقع منهم أكثر مما يتوقع من غيرهم، وربما كان لديه أثقال وعتاد كثير، ويحتاج إلى تأمين وسائل مختلفة لحملها ونقلها وخدمتها، مما قد لا يحتاج الكثيرون من رفقائه إليه.

ويبدو أن هذه الفقرة لا تتحدث عن المخصصات التي تعطى للمجاهدين بعنوان راتب، بل هي تتحدث عن النفقات التي يحتاج إليها في سفره، وفي تحركاته، فهناك من يحتاج إلى مبالغ كثيرة، وهناك من لا يحتاج إلى هذا المقدار، وقد يختلف ذلك من وقت لآخر، ومن سفر لآخر، وقد يختلف ذلك باختلاف المهمات الموكلة إلى الأشخاص..

وَمَتِّعْهُ بِالنَّشَاطِ:

ويحتاج المجاهد إلى أجواء مريحة، تعطيه المزيد من الحيوية والنشاط، وربما احتاج إلى برامج عملية، وأنشطة من شأنها أن توفر له طيب النفس للعمل، فقد فسر البعض النشاط بأنه طيب النفس للعمل.

وقيل معنى نشط في عمله: خف وأسرع.

---

(1) تقدمت مصادر ذلك.

ومعنى متعه الله بكذا: أطال له الإنتفاع به.

فالمطلوب إذن، توفير ما يفيد في إعداد المقاتل للعمل الجهادي، ليكون طيب النفس به.

وتوفير ما يوجب خفته وإسراعه إليه..

وأيضاً توفير ما يوجب إطالة هاتين الحالتين لديه..

وَأَطْفِ عَنْهُ حَرَارَةَ الشَّوْقِ:

ولا بد من العمل على إبعاد المجاهد عن التفكير في أحبائه واهله. وقد رأينا أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين رجع من حرب الخوارج، وأراد أن يتوجه بجيشه إلى حرب معاوية وأهل الشام أمر أصحابه بالبقاء في المعسكر، وأن لا يدخلوا إلى أهلهم وأولادهم[1]، لأن ذلك سوف يثبطهم عن الخروج.. ويشدهم إلى الدنيا، ويزيد من تعلقهم بها. وهو يشعرهم بالإشباع، وبالحصول على مطلوبهم، ويقلل من إحساسهم بالحاجة إلى الجهاد المحفوف بالمخاطر، المفعم بالمعاناة.

ولعل من موجبات سلوهم أهلهم وأحبابهم العمل على زيادة تعلقهم بالله تبارك وتعالى. وازدياد شوقهم إلى الجنة، وتقوية علاقتهم بالنبي «صلى الله عليه وآله» وأهل بيته، وإشغالهم بذلك عن تذكر الأحباب

---

(1) راجع: نهج السعادة للشيخ المحمودي ج2 ص514 - 516 وأنساب الأشراف للبلاذري ص379 ونهج السعادة للشيخ المحمودي ج2 ص419.

والأصحاب، وإيجاد أعمال وأنشطة تصرفهم عن التفكير بهم..

وَأَجِرْهُ مِنْ غَمِّ الْوَحْشَةِ:

كما لا بد من العمل على إبعاد المجاهدين والمرابطين عن الخلوات الموحشة، ولا سيما حين يكون الوقت ليلاً، كما قد يتفق لمن يكلفون بالرصد أو الحراسة. وقد يمكن الطلب منهم أن يشغلوا أنفسهم ببعض الأذكار، أو بحفظ شيء من القرآن، أو بعض خطب النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلي وسائر الأئمة «عليهم السلام»، أو غير ذلك مما ينفعهم، ويزيل وحشتهم.

وإجارة المرابط من الغم تعني لجوءه إلى ركن وثيق، يجد فيه الطمأنينة والسكينة..

وَأَنْسِهِ ذِكْرَ الأَهْلِ وَالْوَلَدِ:

وقد أشرنا آنفاً إلى أنه لا بد من العمل على صرف المقاتل عن التفكير بأهله وولده، فإن تذكرهم يثبطه عن الجهاد، ويزيد من رغبته في حفظ نفسه، ويقلل من مستوى إقدامه وبسالته.. كما أنه يثير الرغبة لديه بسرعة العودة إليهم، ويهون عليه التخلي عن واجبه.. وربما يؤدي ذلك إلى ما لا تحمد عقباه.

وَأُثْرِ لَهُ حُسْنَ النِّيَّةِ:

ولا بد من إثارة الحديث مع المجاهد عن لزوم تصفيته نيته، فلا ينوي إلا الخير، وما هو حسن، فإن طهارة الضمير تعين على تزكية النفس وتصفيتها.

وذلك يحتاج إلى جهد تعليمي، وتربية أخلاقية وسلوكية، ويدخل في ذلك ذكر الأسوة والقدوة، وبيان فضائل الأخلاق، وأهميتها، وقيمتها، وقد يحتاج إلى ذكر الأخبار والآثار..

ثم إن قرئت الكلمة «وأثر» بتسكين الهمزة.. فالمعنى: اذكر له حسن النية، مقترناً بما أثر ونقل من ذلك..

وإن قرئت هذه الكلمة بالألف المدودة «وآثر»، فيكون المعنى: رجح، وفضل له حسن النية.. وذلك ظاهر..

وَتَوَلَّهُ بِالْعَافِيَةِ:

ولا بد من الرعاية الصحيحة للمجاهد، والعمل على حفظه، وصونه عن عروض أية مشكلة صحية تقعده عن واجباته، أو تدعوه إلى التهرب منها استثقالاً لها، بسبب ما يعانيه من الوهن والضعف.

وذلك يتم بتعهد صحته بالمراقبة الدائمة من قبل الأطباء المتخصصين، واختيار الأطعمة المناسبة والسليمة عن أي محذور، وإيثاره بكل ما يحفظ له التوازن، في مختلف الحالات..

وَ أَصْحِبْهُ السَّلامَةَ:

ولا بد أيضاً من الإهتمام بالمرابط والغازي في تنقلاته، فلا تتعرض سلامته فيها لأي خطر.. فتكون ضمانات سلامته متوفرة ومصاحبة له باستمرار، الأمر الذي يحتاج إلى تعاهد تلك الأسباب مرة بعد أخرى.

وَ أَعْفِهِ مِنَ الْجُبْنِ:

والجبن هو ضعف القلب، وهو رذيلة، لأنه التفريط بفضيلة الشجاعة.. فلا بد من إبعاد كل ما يوجب جبن المجاهد عن مقارعة الأبطال. فلا يذكر أحد له الأهوال، ولا يريه المناظر المرعبة، بل يتمخض الإهتمام بإثارة فضيلة الشجاعة فيه، وتقوية قلبه، وتحريضه على الإقدام بذكر ما يثير حميته. ويزيد من حماسته.. ويذكر له ما أعده الله تعالى له من منازل وكرامات، وعطايا ومقامات..

وَ أَلْهِمْهُ الْجُرْأَةَ:

قال السيد علي خان: «الجرأة بالضمة: الشجاعة، وهي صرامة القلب على الأهوال، وربط الجأش في المخاوف. وهي فضيلة بين التهور والجبن. فالتهور هو الثبات المذموم في الأمور المعطبة. والجبن هو الفزع المذموم من الأمور المعطبة.

وإنما قدم «عليه السلام» سؤال عافيته من الجبن على سؤال إلهامه الجرأة، لأن التخلية مقدمة على التحلية» انتهى[1].

فالمطلوب إذن، هو العمل على إعداد نشاطات من شأنها أن تزيد من صرامة المرابط والمجاهد في مواجهة الأهوال.

والتعبير بكلمة «الهمه الجرأة» قد يكون للإشارة إلى أن الجرأة ترجع إلى حالة من الوعي، الذي يؤدي به إلى اتخاذ قراره بالصمود في

---

(1) رياض السالكين ج4 ص255.

مواجهة الأهوال..

وَ ارْزُقْـهُ الـشِّدَّةَ :

هناك من يكون رقيق القلب إلى درجة أنه لا يستطيع أن يرى عصفوراً يذبح أمامه، فيحتاج إلى المزيد من التدريب على تقبيل ذلك، فضلاً عن امتلاك الجرأة على الإقدام عليه.

وهذا بالذات هو ما تعالجه هذه الفقرة من الدعاء، فإن الشدة: هي القوة في النفس والبدن. وتقابلها الرحمة، قال تعالى: **(أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)**[1]، فالشدة على العدو شرط أساس في قهره، وكسر إرادته.

فلا بد من إجراء تدريبات متواصلة للمقاتل، تعطيه القوة في البدن على تحمل الشدائد، وفي النفس لكي لا يتراخى أو يتردد، أو تتسرب الرحمة أو الضعف إلى نفسه أمام عدوه، فيتمكن عدوه منه، ويسرع إلى الفتك به، ويسدد ضرباته الحادة والحاسمة إليه.. مع أن المطلوب هو عكس ذلك تماماً.

فظهر أن الشدة أمر يحصل عليه الإنسان من خارج ذاته.

وَ أَيِّـدْهُ بِـالـنُّصْرَةِ :

وقد دلت هذه الفقرة على ضرورة تأييد المجاهد وتقويته على عدوه بالمعونات الحسنة، التي هي النصرة.. ويتجلى هذا الأمر بإنشاء

---

(1) الآية 29 من سورة الفتح.

قوى تحسن الإسناد للقوى المرابطة والغازية، حين تحتاج إلى ذلك.

وقد يكون الإسناد بإنزال ضربات مفاجئة في موقع لا يحسب العدو أنه سوف يؤتى منه.. وقد يكون ذلك بتحركات، وتصرفات تؤدي إلى إرباك العدو، وتوزع اهتماماته ونحو ذلك..

والنصرة ـ كما قيل ـ: هي حسن المعونة..

وحسن المعونة قد يكون باختيار أساليب لا يتوقعها العدو، وقد يكون بدقة التنفيذ. وقد يكون باختيار مواضع الخلل التي يحتاج المجاهد إلى مثلها، ولا يجد الفرصة أو الوسيلة لذلك. وربما بغير ذلك..

وَعَلِّمْهُ السِّيَرَ وَالسُّنَنَ:

المراد بالسيِّر في ألسنة الفقهاء: المغازي، وتعني في الأصل الطريقة..

وقد روي عن الإمام السجاد «عليه السلام» قوله: «كنا نعلّم مغازي رسول الله (النبي) «صلى الله عليه وآله» كما نعلّم السورة من القرآن»[1].

وقيل: المراد بالسير: أحكام الجهاد..

---

(1) سبل الهدى والرشاد ج4 ص10 والسيرة النبوية لابن كثير ج2 ص355 والبداية والنهاية ج3 ص241 و (ط دار إحياء التراث العربي، بيروت) ج3 ص297.

والسنن: جمع سنة، وهي ـ كما قالوا ـ: الطريقةالمحمدية فرضاً، وندباً، عملاً أو عقيدة..

وقال الراغب: المعلوم العملي: «ما يجب أن يعلم ثم يعمل، ويسمى تارة السنن والسياسات، وتارة الشرايع، وتارة أحكام الشرع ومكارمه، وذلك حكم العبادات، وحكم المعاملات، وحكم المطاعم، وحكم المناكح، وحكم المزاجر». انتهى[1].

فلا بد من توفر خطط عملية لتعليم المجاهد سير رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسير أمير المؤمنين، والإمام الحسن، والإمام الحسين، وسائر الأئمة الطاهرين «عليهم السلام» في حروبهم، وسياساتهم، وإرشاداتهم وطريقة تعاملهم مع عدوهم حين القتال، وقبله وبعده، وإعلامهم الحربي، والحرب النفسية، وطرائق وفنون القتال التي مارسوها، وكذلك كيفية تعاملهم مع المجاهدين، وأساليب إعدادهم روحياً وقتالياً، وثقافياً، وغير ذلك.. ليأخذوا منهم العبرة والأمثولة، وتكون لهم بهم الأسوة والقدوة..

كما أن معرفتهم بالأحكام الشرعية أمر ضروري جداً، فالمطلوب هو إعداد برامج ثقافية، لكي يتعلموها، ويفهموها ويعوها، ويفقهوا معانيها ومراميها على أحسن وجه وأتمه..

---

(1) رياض السالكين ج4 ص256 والذريعة إلى مكارم الشيعة ص111.

وَسَدِّدْهُ فِـي الْـحُكْمِ:

كما لا بد من تعليم المجاهد كيف يتلقى الأمور المختلفة، ويوازن فيما بينها، ويعرف الصواب من الخطأ فيها بفكره الثاقب، ورأيه الحصيف..

وما أكثر الحالات التي يحتاج فيها المجاهد إلى اختيار الصواب بعد التأمل والتفكير..

وهذا يعطي: أن هناك مساحة لا بد وأن يوكل أمر القرار فيها إليه، وهو يواجه الوقائع، ويرى العناصر المشاركة في تكوينها لأن قراره سيكون أدق وأصوب..

وَاعْزِلْ عَنْهُ الـرِّيَـاءَ:

والرياء: إظهار القدرة، والتباهي بها.. فالمرائي يعمل لكي يراه الناس، فإذا لم يروه فإنه لا يعمل، وإن عمل، لم يكن مجيداً فيما يعمله..

كما أن المرائي إنما يعمل لنفسه، لا لله تبارك وتعالى.

فإذا كان الجهاد قائماً على حب الله، والتقرب منه وإليه، وبذل النفس في سبيله، فإن ذلك لا يناسب المرائي، بل هو يتناقض مع ما يسعى إليه..

فلذلك لا بد من الحرص على تربية المقاتل روحياً بحيث يصبح توجهه إلى الله سبحانه وتعالى بكل وجوده، وفكره، ولا يهتم لنفسه، بل يهتم بما يرضي ربه، ويحفظ له آخرته..

وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ:

ثم صرحت هذه الفقرة بلزوم تربية المجاهد، بحيث لا يكون همه الشهرة لنفسه، وأن يسير ذكره في البلاد، وبين العباد.. بل المطلوب هو تخليصه من هذه الحالة..

وقد ورد عن السلف: «آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الجاه».

فقد يرى المؤمن أن من حقه الإيماني والإنساني أن يكون محترماً، وأن تكون له سمعة حسنة، وذكر طيب..

وهذا.. وإن كان بظاهره مقبولاً ومشروعاً، ولكن ربما يختلط الأمر على كثير من الناس بين هذا وبين طلب السمعة، فإن السمعة هي السعي إلى أن يتسامع الناس بما يحب هو أن يوصله إليهم، وإلى أن تتضخم صورته بذلك عندهم، فيصبح ذلك هدفاً، ويتحول بالتدريج إلى غرض شخصي، يراد منه خدمة الذات، والأنا.

فحب السمعة يعني أن الإنسان أصبح متشبثاً بذاته، ومنطلقاً من الأنا التي لو اقتصرت على ما سمح الله تعالى به وأجازه لكانت خيراً للإنسان، وفي خدمته، ومن أجله..

وحين يراد تخليص المؤمن المجاهد من السمعة، فلا بد من توعيته لمخاطرها، ولفت نظره إلى لزوم الحذر من آثارها..

أما الرياء فالإنسان يعرف أنه ليس هو الخط الصحيح والسليم، ويدرك أنه غريب عن ذاته، طارئ عليها. وأن الأولى له هو أن يعزل

الرياء عن ذاته، ويبعده عن شخصيته، ويمنعه من التسرب إليها..

فكأن هناك حاجز نفسي يحجز الإنسان عن الوقوع في الرياء، ولا يوجد هذا الحاجز بالنسبة للسمعة.. ولعله لأجل ذلك قال «عليه السلام»: اعزل عنه الرياء، وخلصه من السمعة..

وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ، فِيكَ وَلَكَ:

وخلاصة جميع ما سبق هو: أن يكون هناك عمل تربوي، وتثقيفي، يودي إلى جعل فكر المجاهد متمحضاً في الله تعالى..

والفكر ـ كما قيل ـ: هو تردد القلب في طلب المعاني..

فالمطلوب هو جعل كل ما يمر في خاطره، ويحضر في نفسه، وكل حركة له أو سكون.. وكل إقامة أو ارتحال، في سبيل الله، ولأجل رضاه جل وعلا.

وذلك يفرض التقليل من الحديث بغير الله تعالى عنده، فلا يتحدث في محضر المرابط والغازي عن المساكن الفخمة والواسعة، ولا عن المال، وأحجامه، ومزاياه، وطرق الحصول عليه.

ولا يتحدث عنده عن اللفتات الذكية للأطفال، ولا تعرض عليه صور اللذائذ والمغريات من زبارج الدنيا وبهارجها.

بل تعرض عليه صور رضا الله، ويتحدث عنده عن نعيم الجنة، وما إلى ذلك..

الفصل الحادي عشر:

في بدايات القتال وخواتيمه

«فَإِذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ، وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ، وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَلَا تُدِلْهُمْ مِنْهُ، فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الْأَسْرُ، وَبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ

فَإِذَا صَافَّ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُ فَقَلِّلْهُمْ فِي عَيْنِهِ:

أشارت هذه الفقرة إلى:

1 - أن المطلوب: هو أن تكون العقيدة القتالية واضحة تمام الوضوح لدى المجاهد المرابط، وأن يعرف: أن العدو الذي يحاربه هو عدو الله أولاً، وللمجاهد، ولكل قيمة إنسانية وأخلاقية وإيمانية ثانياً.. لكي يمتزج الداعي الديني، والإعتقادي، والإيماني، والإنساني، مع الدافع الشخصي، فيدافع عن دينه، ويدافع عن نفسه، لأنه عدوه كإنسان، ويشكل خطراً على وجوده كشخص.. ويهدف إلى تدمير قيمه ومقدساته..

ولا شك في أن هذه الدواعي إذا تعاضدت، فسوف تعطيه المزيد من الصلابة، والقوة، والإندفاع..

بخلاف ما إذا كان يقاتل من أجل الحصول على الدنيا، وحطامها، أو على الوجاهة والنفوذ فيها، فإنه سوف لا يكون على استعداد للتضحية بنفسه، لأنه يرى أن عليه أن يحفظها كنقطة محورية، وموضع ارتكاز، لكي تعود المنافع والمكاسب إليه وعليه. ولو أنه عرض نفسه للخطر، فلا يبقى مبرر للقتال، لأنه سوف يفقد دواعيه،

ما دام أن المنافع والمكاسب سوف لا تعود إليه كشخص..

2 - ولا بد من العمل على تقليل قيمة ومحدودية تأثير الكثرة العددية لجيش الأعداء في تحقيق الغلبة له، وتبيين أنها كثرة لا تنفع، ولا تزيد من قدرة العدو على الحسم، وقد يمكن إقناعه بذلك عن طريق تعريفه بأن العدو يحب الدنيا، ويتعلق بها، وليس لديه أي داع للتخلي عنها..

ويمكن أيضاً القيام بدراسة تتكفل ببيان الثغرات، أو بيان الحالات التي تصبح الكثرة فيها عبئاً، أو إلقاء نظرة على وسائل إسقاط الكثرة العددية عن التأثير في ساحة الحرب.. أو غير ذلك مما يمكن لدائرة التوجيه العسكري أن تقدمه للمجاهدين في هذا السياق.

وفي ساحة الإصطفاف والمواجهة تتأكد قيمة هذا الشعور بقلة عدد الأعداء، فإن ذلك يقوى قلبه على الدخول في حربهم، بهمة، واندفاع، وثقة.

وَصَغِّرْ شَأْنَهُمْ فِي قَلْبِهِ:

ولا بد أيضاً من العمل، وفق نشاطات مدروسة على إسقاط هيبة الأعداء في نفس المجاهد. وتعريفه بمدى الهلع، والذل، والصغار الذي يعيشونه، وبيان هزيمتهم الروحية.. وإن تظاهروا له بخلاف ذلك.

يضاف إلى ذلك: إقناعه بأنهم لا حرمة لهم، لأنهم يحاربون الله، ويبغون الغوائل لأهل الإيمان، ولا يقيمون للقيم وزناً، ولا يملكون من

الفضائل الأخلاقية، والمعاني الإنسانية ما يجعلهم يستحقون الحياة..

وَأَدِلْ لَهُ مِنْهُمْ، وَلا تُدِلْهُمْ مِنْهُ:

وإذا صادف أن تمكن العدو من عمل يوحي بأن لديه شيئاً من القوة، أو استطاع أن يقوم بحركة مؤذية لأهل الإيمان، فلا بد من تلافي ذلك، بنحو يرى المؤمنون والمجاهدون عدوهم ذليلاً، يدال منه أهل الحق، ويلحقون به أشد أنواع الأذى..

ويبقى علينا الإلماح إلى أن التعدية باللام حين يدال للغازي والمرابط، وعدم التعدية بها حين يطلب عدم إدالة العدو من المجاهدين، لعله لأجل: أنه لا حق للأعداء في هذه الإدالة، لأنهم ظالمون معتدون. وإنما هي حق لأهل الإيمان دون سواهم.. كما هو ظاهر لا يخفى..

فَإِنْ خَتَمْتَ لَهُ بِالسَّعَادَةِ، وَقَضَيْتَ لَهُ بِالشَّهَادَةِ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَاحَ عَدُوَّكَ بِالْقَتْلِ، وَبَعْدَ أَنْ يَجْهَدَ بِهِمُ الأَسْرُ:

وقد دلت هذه الفقرة على أن المطلوب هو اجتياح العدو بالقتل والأسر، لأن ذلك يسقط مقاومته، ويدخل الرعب في قلبه. ويجعله يحسب ألف حساب قبل أن يفكر من جديد بأية عمليات حربية ضد أهل الإيمان..

ونيل درجة الشهادة بعد الإمعان في قتل العدو وأسره له لذة مضاعفة، حيث يرى الشهيد بأم عينيه خزي أعدائه في الدنيا

والآخرة.. وستهون الشهادة عليه، وسيرتاح باله، ويموت قرير العين. حيث يرى أن تضحيته قد أثمرت نصراً، وقوة وشوكة..

والإجتياح هو: الإستئصال..

فالمطلوب هو القتل الذريع للعدو، بحيث لا يبقي ولا يذر..

وجهد به: شق عليه، وأتعبه، وأضرَّ به، وبذل كل جهده ليدفعه عن نفسه فلم يقدر..

وفي نص آخر: «بعد أن يديخهم الأسر». أي أنهم يفقدون توازنهم بسبب كثرة الأسر فيهم.. ولا يعرفون كيف يتصرفون..

وقالوا: معنى داخ: ذل وخضع، وقُهر.

فقوله: يديخهم، أي يستولي عليهم، ويقهرهم، ويذلهم..

ولكل هذه المعاني إلماحات وإشارات تستوجب رسم سياسات عملية، تعين على استثمارها، لا تخفى على القارئ اللبيب، والألمعي الأريب..

وَبَعْدَ أَنْ تَأْمَنَ أَطْرَافُ الْمُسْلِمِينَ، وَبَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ عَدُوُّكَ مُدْبِرِينَ:

وإنما تقر عين المجاهد حين يرى أن جهاده قد أثمر الأمن لأطراف المسلمين، بل لقد شمل هذا الأمن سائر بلادهم أيضاً..

فرؤية العدو مهزوماً لا بد أن يكون هدفاً قتالياً أساسياً للمجاهدين.. فإذا أصابتهم الشهادة بعد وقوع الهزيمة على العدو، وحصول الأمن لأطراف المسلمسن كان فرحهم بها مضاعفاً..

والخلاصة: إن همة المجاهدين لا بد أن تنحصر في الأمور الأربعة التالية:

1 - الإمعان في قتل العدو..

2 - إذلال العدو وقهره بالإكثار من أسر أفراده..

ويلاحظ هنا: أنه عبر بما يفيد الإخضاع والقهر، والإذلال، لأن ذلك من خصوصيات الأسر. أما القتل الكثير فإنه وإن كان يضعف العدو ويخيفه، لكنه قد يستفيد منه في شحذ العزائم للحرب، وتصويره على أنه من موجبات افتخاره، وليس كذلك الأسر، فإنه لا يستطيع أن يتبجح به، ولا أن يعتز به ويفتخر..

3 - تحقيق الأمن لأطراف البلاد، أو بمعنى أن يأمن طوائف المسلمين على حد قوله تعالى: **(لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ)**[1].

فالمقصود بالطرف في الآية: الطائفة.. والله أعلم.

4 - أن يسقط مقاومة العدو ويهزمه، ويضطره للفرار، وأن يولي الأدبار.

فإذا تحقق ذلك كله.. فإن الشهادة للغازي والمرابط تكون هي السعادة التي ما بعدها سعادة..

---

(1) الآية 127 من سورة آل عمران.

«اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ، أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ، أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ، أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ، أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً، أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً، فَآجِرْ لَهُ مِثْلَ أَجْرِهِ وَزْناً بِوَزْنٍ وَمِثْلًا بِمِثْلٍ، وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ وَسُرُورَ مَا أَتَى بِهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ

اللَّهُمَّ وَأيُّمَا مُسْلِمٍ خَلَفَ غَازِياً أَوْ مُرَابِطاً فِي دَارِهِ، أَوْ تَعَهَّدَ خَالِفِيهِ فِي غَيْبَتِهِ:

بدأ «عليه السلام» هنا بالحديث عن وظائف الذين لا ينفرون إلى المرابطة في الثغور لأسباب مشروعة، فذكر العديد من الأمور.. فأشار في البداية إلى الفرق بين الغازي والمرابط، فإن الغازي يغزو العدو، ثم يرجع إلى أهله. والمرابط هو الذي يربط فرسه في الثغور،

ويقيم فيها مدافعاً وغازياً..

ثم إن غير المرابط من الغازين يكون تعلقه بأهله، وبداره أشد، لأنه حديث عهد بهم، فحاجته إلى الطمأنينة عليهم آكد.. ولعله لأجل ذلك قدمه «عليه السلام» هنا في الذكر، فقال: «غازياً أو مرابطاً».

وهذا يعطي: لزوم العمل على طمأنة الغازي، والمرابط على أهله وداره بصورة دائمة، ولزوم إيلاء الغازي اهتماماً خاصةً في هذا المجال، حتى لا تترك بلابل صدره، وقلقه على أهله، وداره، أثراً سلبياً على حركته واندفاعه.

كما أننا نستفيد من هذه الفقرة لزوم حفظ الغازي في داره، وتعهد أهله، وإيجاد الوسائل المناسبة التي تحقق ذلك..

والمراد بتعهد أهله: المواظبة على تفقد أحوالهم ورعايتهم، وحفظهم، وقضاء حاجاتهم، وإصلاح شأنهم، والعمل على طمأنتهم، وراحة بالهم. فإن ذلك يدخل في إصلاح شأنهم أيضاً.

ولعله عبر بكلمة «خالفيه» ليشمل جميع من خلف الغازي، والمرابط، وأقام بعده من الأهل وغيرهم، ممن يقع تحت تكفله، أو يهتم بشأنه لسبب أو لآخر..

ولعله «عليه السلام» اختار أولاً ذكر خلافته في داره، ليشير إلى أن الغازي قد لا يكون له اهل، فتبقى داره هي نقطة الإرتكاز في تعلقاته القلبية، فلا بد من حفظها له. فإذا كان له أهل وغيرهم ممن يرى نفسه مسؤولاً عنهم، فلا بد من حفظه فيهم أيضاً.

أَوْ أَعَانَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ مَالِهِ:

وحين يشارك الناس أهل الثغور في الجهد، والبذل، والتضحية ولو بالمال، فإن ذلك يزيد من ارتباطهم واهتمامهم بهم، ويزيد حبهم لهم، ورغبتهم في معونتهم، ومشاركتهم لهم في السراء والضراء..

ولأجل ذلك صرح الإمام «عليه السلام» بأن المطلوب هو إعانة الناس للغازي والمرابط بالمال.. ولو من خلال تنظيم حملات إعلامية وعملية في هذا السبيل.. أو إنشاء فرق تتولى إعداد برامج لحث الناس على جمع المعونات، وتحديد المواضع التي ينبغي أن تصرف فيها، بعد أن يرضى الغازي والمرابط بتوليهم الجمع والصرف في شؤونه. إلا إذا كانت المعونة بعنوان عام لا يحتاج إلى أخذ موافقة الأفراد في ذلك. أو أن المعين هو الذي أراد أن يكون الصرف بهذا النحو، أو في هذا المورد و ذاك..

وإنما تحدثنا عن الموضوع بهذه الطريقة لأن ظاهر كلامه «عليه السلام» هو: أن المعين إنما يعطي لأشخاص الغازين والمرابطين. وليس المراد معونة الدولة في مجهودها الحربي..

وقد أشار «عليه السلام» بقوله: «بطائفة من ماله» إلى أن المعونة تتعدى المبالغ الضئيلة التي يخصصها الإنسان لصدقاته، ومبراته، لتصبح طائفة، أي قطعة من المال. فإن الفتات الضئيل غير مقصود ـ فيما يبدو ـ بهذه التعابير..

أَوْ أَمَدَّهُ بِعِتَادٍ:

وعل الناس أيضاً أن يمدوا الغازي والمرابط بالعتاد، لكي يستفيد منه هو شخصياً، ويدفع به عن نفسه وعن الدين، وأهل الإيمان، وبذلك يطمئن قلبه، وتسكن نفسه..

والمراد بالعتاد: ما أعده الرجل من السلاح، ووسائل النقل، وآلة الحرب.

كما أن المراد بإمداده: رفده المتواصل بما يحتاج إليه من ذلك..

والنتيجة هي: العمل على توفير العتاد للغازي والمرابط بمختلف الأنواع، وبصورة متواصلة، ومن دون انقطاع..

أَوْ شَحَذَهُ عَلَى جِهَادٍ:

والمطلوب أيضاً: التحريض والإلحاح الشديد على الأفراد ليشاركوا في الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى، لأن الشحذ هو السوق الشديد، والإلحاح في السؤال..

ويمكن إعداد خطط وبرامج من شأنها إمضاء همة الغازي والمرابط، وتأكيد عزيمته على جهاد العدو.

فلا بد من الإهتمام ببرامج التعبئة الروحية. ولكن وفق المصطلحات ذات الدلالات الإيمانية الصحيحة، كما ربما يفيد تعبيره «عليه السلام» هنا بكلمة «جهاد» التي هي مصطلح ديني يوحي للغازي والمرابط:

أولاً: بلزوم بذل الجهد في هذا السبيل، فلا تكون المشاركة في

الغزو، وفي المرابطة على سبيل الترف، أو التسلية، وما إلى ذلك..

ثانياً: تذكير المجاهد بأن عمله مرتبط بإيمانه، وبدينه، وعقيدته، وهو من العبادات التي يطلب فيها قصد التقرب إلى الله تعالى، وطلب رضاه.. وبذلك يكون قد هيأه لهذا الأمر نفسياً، وعبأه روحياً أيضاً..

على أن موضوع التحريض على الجهاد، كما يكون بالقول، يكون بالفعل أيضاً، وأدنى ذلك: أن يهيء له الأسباب، ويزيل العوائق من أمامه..

أَوْ أَتْبَعَهُ فِي وَجْهِهِ دَعْوَةً:

والتوسل بالدعاء في مثل هذه المواقف مطلوب أيضاً، حتى لا تتأكد لدى الغازي والمرابط مفاهيم خاطئة كأن يعتقد أن الأهمية القصوى، والدور، والقيمة الحقيقية، والكلمة الفاصلة هي للعتاد والسلاح، والجهد البشري، وللخطة الحربية، وحسن إدارة المعركة، وما إلى ذلك من أمور قد تصرف الإنسان عن التفكير بالحاجة إلى الله تبارك وتعالى، فيصاب بالغرور، ثم بالفشل الذريع عند تلقيه الضربة الأولى، حيث يظهر أن العتاد والسلاح والخطط والجهد البشري وإن كان مهماً، ولكنه ليس هو الحكم والفيصل في الحرب. بل لا بد من تذكيره بأن الدور الحقيقي والحاسم هو للطف الله سبحانه، وللرعاية الإلهية، والتسديد الرباني.. وللإيمان به سبحانه، والسعي إلى رضاه وإلى العمل بأوامره، والإنزجار بزواجره..

ولذلك ذكر «عليه السلام»: أنه لا بد من أن يُلْحِقَ المتخلف

بالغازي والمرابط في مقصده الذي توجه إليه دعوة، لتكون هذه الدعوة مرافقة لذلك الغازي في أي جهة يتوجه إليها..

وبذلك يتبلور لدى الغازي والمرابط والداعي شعور بأن للدعوة التي صاحبته أثراً في جهده وجهاده، وأنها من أسباب توفيقه وبلوغ أهدافه في الدنيا وفي الآخرة.. وأنه مرعي من الله تبارك وتعالى..

وليست الدعوة مجرد كلمات، صدرت وذهبت في الهواء، بل هي باقية تؤتي أكلها كل حين بإذن الله..

أَوْ رَعَى لَهُ مِنْ وَرَائِهِ حُرْمَةً:

كما لا بد أن لا يقتصر الأمر على حفظ مال المجاهد، وتعهد أهله.. بل يجب حفظ ورعاية حرماته في غيبته.. فيراعي له جاره حرمة جواره، ويراعي من ائتمنه على سره حرمته فيه، فلا يفشي له سره. وما إلى ذلك..

ويمكن تخصيص البرامج الهادية لتوعية الناس وتعريفهم بهذا الواجب، وحثهم على الإلتزام به..

وهذا يعطي الغازي والمرابط المزيد من الإحساس بالأمن وبالسلامة والحفظ..

والمراد بالحرمة: ما وجب القيام به، وحرم التفريط به. وفي القاموس: ما لا يحل انتهاكه به..

غير أن الظاهر: هو شمول ذلك لكل ما يرجح الشارع حفظه منه في غيبته، حتى ما هو مثل حرمة جواره، فضلاً عن المنع من غيبته،

أو انتقاصه، أو حفظ سره، ونحو ذلك..

فَـآجِرْ لَـهُ مِـثْلَ أَجْرِهِ وَزْنـاً بِـوَزْنٍ وَمِـثْلاً بِـمِـثْلٍ:

قد تقرأ الكلمة: أجر بفتح الهمزة وسكون الجيم، أي اجعل ذلك جارياً..

وقد تقرأ: بتسكين الهمزة وضم الجيم، بمعنى: أثبه.

وقد تقرأ: بمد الهمزة وكسر الجيم، آجر له.. من الأجر، والثواب أيضاً..

وقد يقال: إن مقام الإنسان هو مقام المربوب، والداعي، والطالب، ومقام الأدب معه سبحانه يقتضي أن لا يوجب على الله تبارك وتعالى.

ونقول:

إن الأمر في الدعاء ليس كذلك، بل المطلوب هو الحتم والجزم في الدعاء، لأنه طلب المحتاج، وليس فيه إيجاب، حاله حال الأوامر التي تصدر من العالي أو المستعلي إلى غيره لتكون من موارد سوء الأدب، لمنافاتها لكمال العبودية والخضوع. بل فيه إيذان بكمال الخضوع، وشدة الإنقياد، من حيث هو تعبير عن شدة الحاجة، وكمال الإنقطاع إليه تعالى. ولذلك لا يحسن بالداعي أن يقول: يا رب اقض حاجتي إن شئت..

ولذلك عدى الإمام «عليه السلام» كلمة أجر باللام: للدلالة على أنه يطلب من الله تعالى أن يوجب هذا الأجر، ويحتّمه، فقال: «آجر

له» أي أوجب، وحتّم له هذا الأجر..

فالمطلوب هو: أن يحصل من يفعل كل ذلك مع الغازي والمرابط على أجر مماثل لأجر الغازي والمرابط، من حيث المقدار والكم، فيكون وزناً بوزن..

ثم ترقى من ذلك إلى طلب المماثلة مطلقاً في الكم والكيف، وغيرهما، فقال: «ومثلاً بمثل».

وربما يفهم من ذلك ضرورة أن يكون تعامل المسؤولين مع من يخلف الغازي والمرابط بهذا النحو مثل تعاملهم مع الغازي والمرابط نفسه. وعليهم أن يعطوه نفس الإمتيازات..

وَعَوِّضْهُ مِنْ فِعْلِهِ عِوَضاً حَاضِراً يَتَعَجَّلُ بِهِ نَفْعَ مَا قَدَّمَ وَسُرُورَ مَا أَتَى بِهِ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ بِهِ الْوَقْتُ إِلَى مَا أَجْرَيْتَ لَهُ مِنْ فَضْلِكَ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ مِنْ كَرَامَتِكَ:

ثم صرحت هذه الفقرة بأزيد من ذلك، فذكرت: أن المطلوب هو التعويض المباشر عن تضحيات هذا الخالف في حفظ ذلك الغازي والمرابط، باعتبار أنه يكون من الأعمال التي يقدمها الإنسان لنفسه قبل وصوله إلى موضع حاجته إليها..

فهو نظير الأموال التي يعطيها اليوم، ليأخذ عوضاً عنها وقت الحاجة في المستقبل.

واللافت هنا: أن المطلوب هو حصول الخالف على العوض عاجلاً

وآجلاً، ويريده «عليه السلام» عملاً نافعاً من الناحية الواقعية المادية، ومن موجبات السرور الفعلي للعامل، ولكنه سرور بنفس هذه الأفعال التي أتى بها، لا بشيء آخر. ولا هو ناشئ عن شيء آخر..

قال الراغب: السرور: انشراح الصدر بلذة فيها طمأنينة النفس عاجلاً وآجلاً، والفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة غير آجلة.

ثم طلب «عليه السلام» استمرار هذا السرور في الحياة الدنيا كلها، لكي يتصل هذا النفع والسرور الدنيوي بما أعده الله له في الآخرة.

وهذا يعني: أن الثواب على الأعمال الصالحة يكون في الدنيا والآخرة معاً..

وقد يستفاد من هذا: رجحان لزوم رعاية حال هؤلاء الناس، وتخصيصهم بالإمتيازات طيلة حياتهم، مكافأة لهم على فعلهم هذا..

وقد أشار بعض العلماء إلى أن قوله «عليه السلام»: «إلى أن ينتهي به الوقت إلى ما أجريت له من فضلك، وأعددت له من كرامتك» يفيد: أن الروح بعد فراق البدن تتصل بما أعده الله لها من الثواب قبل البعث والحشر، وذلك في مدة البرزخ[1].

ويدل عليه: ما ورد من أنه إذا وضع المؤمن في قبره يفتح له باب إلى الجنة، فيدخل عليه روحها وريحانها إلى أن يبعث.. ويفتح

---

(1) رياض السالكين ج4 ص272.

للكافر باب إلى جهنم، فيدخل عليه زفيرها وحرها إلى أن يبعث[1].

ويستفاد أيضاً من قوله «عليه السلام»: «أجريت»: أن نعيم الآخرة لا ينتهي، بل هو متواصل ومستمر وجار.

ويستفاد كذلك: أن هذا العوض، منه ما هو مادي، أشير إليه بقوله: «أجريت له من فضلك»، ومنه معنوي أشير إليه بقوله: «وأعددت له من كرامتك»..

فاتضح: أن الإكرام مطلوب أيضاً، كمطلوبية استمرار العطاءات المادية..

كما أن من المستحسن استمرار البر للغازي والمرابط ومن ساعدهما وأيدهما إلى ما بعد الموت. ويمكن أن يكون ذلك بطرق مختلفة.

---

(1) راجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ج3 ص492 - 493 والإختصاص للشيخ المفيد ص345 - 349 والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي ص47 - 51 ومدينة المعاجز ج3 ص121 - 126 وراجع: البحار ج6 ص148 وج8 ص207 - 211.

الفصل الثالث عشر:

من لـم يشـارك في الحـرب..

«اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الْإِسْلَامِ، وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ فَقَعَدَ بِهِ ضَعْفٌ، أَوْ أَبْطَأَتْ بِهِ فَاقَةٌ، أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ، أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْعَابِدِينَ، وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ، وَاجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ»

اللَّهُمَّ وَأَيُّمَا مُسْلِمٍ أَهَمَّهُ أَمْرُ الإِسْلامِ:

ثم بدأ «عليه السلام» الحديث عن حال من لم يتمكن من الغزو والجهاد، فأشار إلى أمور كثيرة.. ونحن نكتفي بذكر ما تيسر فيها، فنقول:

إنه «عليه السلام» قد زاد كلمة «ما» على «أي»، فقال: «أيما» ليؤكد إبهام أي، وليزيد في شياعها. والهدف من ذلك هو تشويق الناس كلهم، وتحريضهم على القيام بهذا الأمر، وإعلامهم بحساسية هذا الموضوع المصيري، وأنه لا مجال لانتهاج سياسة عدم الإكتراث، أو المسامحة فيه..

ثم إنه «عليه السلام» ذكر أولاً: ضرورة أن يكون القلق على الإسلام كدين سمة كل مسلم، على أن يكون هذا الهم والقلق هو الداعي للتفكير بغزو الذين يريدون بهذا الدين شراً.

وهذا يحتاج إلى ثقافة ووعي، وتربية مشاعر وأحاسيس، وإلى ترسيخ حالة الإعتقاد وقضايا الإيمان في القلوب والضمائر، إذ إن مجرد المعرفة لا توجب القلق، بل لا بد من أن تكون هناك علاقة

مشاعرية، واحتضان روحي، ولكل واحد من هذين الأمرين وسائل تناسبه، وتفيد في إيجاده وتبلوره..

ولكنه «عليه السلام» أطلق الكلام حول القلق على أمر الإسلام، ليشمل القلق بسبب ما يراه من خطر يتهدده، والقلق المرتبط بالعوائق من انتشاره، وتعريف الناس به، أو حملهم على الإلتزام بأوامره وزواجره.. أو غير ذلك..

وَأَحْزَنَهُ تَحَزُّبُ أَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ:

ثم انتقل «عليه السلام» إلى ما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين وهم يواجهون التحدي، فذكر أن على كل مسلم أن يحزن إذا رأى تحزب أهل الشرك على أهل الإسلام، والمراد من تحزبهم: تجمع طوائفهم وجماعاتهم للقيام بأي عمل يضر بأهل الإسلام.. ولم يحدد نوع ذلك الضرر ولا مقداره..

قال الجوهري: «الأحزاب: الطوائف التي تجمع على محاربة الأنبياء»[1].

والحزن: «هو حالة نفسانية، تحصل لتوقع مكروه، أو وقوعه. أو فوات محبوب في الماضي»[2].

فذكر «عليه السلام»: أن الحزن يجب أن يكون هو السمة

---

(1) الصحاح للجوهري ص109 ورياض السالكين ج4 ص273.

(2) رياض السالكين ج4 ص272.

للمسلمين، وهم يرون التحزب قد حصل..

ولكنه ليس حزن العاجزين، أو المهزومين، بل هو حزن الأقوياء الذي يعطي الدافع للتحرك والإقدام، ويحث على التفكير بتقويض هذا التحزب وبتمزيقه، ولو احتاج الأمر إلى التضحية بكل غال ونفيس، أو احتاج إلى الدخول في ساحات الجهاد، وتعريض النفس للخطر.. ولذلك عقبه بقوله:

فَنَوَى غَزْواً، أَوْ هَمَّ بِجِهَادٍ:

فقد دلت الفاء في قوله: «فنوى» على عطف الجملة على ما قبلها، وعلى الترتيب، وعلى السببية في آن واحد.

وقد عبر بكلمتي «نوى» و «همَّ» ربما ليدل بكلمة «همّ» على أن الإرادة فعلية، والمراد حاضر. وبكلمة «نوى»، على أن الإرادة حاضرة، ولكن المراد قد يكون حاضراً، وقد يكون مؤجلاً، أو قد يكون غير محددٍ. ولكنه سيختاره من بين عدة خيارات حاضرة، أو مؤجلة، أو مختلفة من حيث الحضور والتأجيل..

ثم بيَّن بكلمة: «نوى» الغزو، أن الغازي ليس مرابطاً في الثغور، أما من ينوي الجهاد فهو أعم من جهاد الحاضر في الثغر، والغائب عنه..

وفي كلا الحالتين قد يعترضه ما يمنعه من تحقيق ما نوى، ومن مباشرة ما همَّ به..

وقد أشار «عليه السلام» إلى هذه الموانع بقوله:

فَـقَـعَـدَ بِـهِ ضَعْفٌ:

فذكر أولاً ما يرتبط بالمانع الذاتي، وهو نقصان القوة عن الحد الذي يحتاج إليه في العمل الذي يريد مزاولته.

وقد قال «عليه السلام»: «فقعد به ضعف»، ولم يقل: أقعده، أي جعله يقعد ربما لينسب الفعل إلى غير الغازي والمرابط، تنزيهاً له عن أن يكون له أي دور في اختيار القعود، أو إرادته، ليصبح الضعف بمثابة المانع له، مع مضي عزيمته في فعل هذا الأمر..

وقد جاءت كلمة «ضعف» نكرة ربما لتشير إلى شدة ذلك الضعف، ولتشير أيضاً إلى أنه ليس محدداً في نوع أو سبب بعينه، نظراً لتعدد أسباب الضعف واختلافها..

أَوْ أَبْطَأَتْ بِـهِ فَـاقَـةٌ:

ثم أشار «عليه السلام» إلى العوامل الخارجية، فذكر أولاً الفاقة، وهي ـ كما في كتب اللغة ـ: الفقر والحاجة، ولكن الذي يظهر من كلام الهمداني في كتابه: الألفاظ الكتابية: أن الفاقة هي شدة الفقر، حيث قال: «الفاقة، والخصاصة، والإملاق، والمسكنة، والمتربة واحد»[1].

وعلى هذا، فإن الفقر وحده لا يكفي لتحقيق الإبطاء، بل لا بد من أن يبلغ حد الإملاق، ويسكنه عن الحركة، ويجعله يفترش التراب..

وقد أظهر هذا التعبير أيضاً: أن الفقر هو الذي يبطّئ حركة

---

(1) راجع: مجمع البحرين ج8 ص231.

المجاهد، لأن المجاهد يختار الجهاد، ولا يختار القعود عنه..

وهذا معناه: أنه ليس للإنسان أن يعتذر عن عدم مشاركته في الغزو والجهاد بالفقر، أو بمطلق الضعف. بل لا بد أن يكون الضعف هو الذي يقعد به، وشدة الفقر هي التي تبطئ به..

وكأنه يريد أن يقول: إن المجاهد يصبح محمولاً للضعف وللفقر، وهما اللذان يحركانه في هذا الإتجاه، أو ذاك.

ويلاحظ: أنه تحدث هنا عن الإبطاء، لا عن المنع المطلق.

أَوْ أَخَّرَهُ عَنْهُ حَادِثٌ:

كما أنه «عليه السلام» لم يقل: إنه هو الذي تأخر بسبب الحادث، بل قال: إن الحادث هو الذي أخره.. وقد أبهم الحادث ليصبح الكلام شاملاً لمختلف أنواعه وحالاته، شرط أن يكون هو المؤثر في التأخير.. مع ملاحظة: أن التأخير لا يستلزم الفوت، إذ قد يمكن مع التدارك في الأزمنة، فإن تأخير الشيء لا يستلزم سقوط التكليف به، إلا حين صيرورة العمل مفيداً وذا مصلحة..

أَوْ عَرَضَ لَهُ دُونَ إِرَادَتِهِ مَانِعٌ:

أي أن المانع قد وقف في وجه إرادته، ومنعها من التأثير.. فإرادة الجهاد موجودة على كل حال..

وقد أبهم المانع هنا أيضاً، لنفس السبب الذي ذكرناه آنفاً، وهو: أن يصبح شاملاً لجميع الموانع على اختلاف أنواعها.. شرط أن يكون هو المانع من تأثير إرادته في تحقيق مراده..

وبذلك يكون قد استوعب جميع الإحتمالات التي يمكن تصورها في هذا المجال.

كما أن هذه الفقرة الأخيرة قد أنهت الكلام عند الحد الذي لا مجال معه لتدارك ما فات. وبذلك يظهر الفرق بينها وبين الفقرة السابقة..

فَاكْتُبِ اسْمَهُ فِي الْغَابِدِينَ (وفي نسخة في الغَازِين) :

لقد قرر «عليه السلام»: أن من ينوي غزواً، أو يهم بجهاد، ثم يمنعه مانع من تحقيق ما نواه، فهو في جملة الغازين، والعابدين، لأن الجهاد من العبادات.. وقد طلب «عليه السلام» كتابة اسمه فيهم، ولم يقل: فاجعله فيهم. لأن الكتابة تدل على البقاء والدوام، وعلى أنه جزء منهم.. أما مجرد جعله فيهم، فلا يدل على هذه الخصوصية، ولا على تلك..

وقد اعتبر السيد علي خان كلمة «في الغازين» هي الأنسب، ولعله يستند في ذلك إلى أن الدعاء إنما هو لأهل الثغور، فالمتخلف عن المشاركة في الغزو لأجل هذه الأمور إنما يتأسف لفوت الثواب الذي أعده الله تعالى للغازين..

ولكن ربما يكون هناك من يقول:

إن كلمة «في العابدين» هي الأنسب، لأنها توحي للمجاهد بطبيعة عمله، وبالأجواء التي تصونه من الإغراق في حب الإنتقام في هذا القتال، وتقوده إلى الإيثار والتضحية في الله من خلال هذا الجهاد..

وَأَوْجِبْ لَهُ ثَوَابَ الْمُجَاهِدِينَ:

وبما أنه قد يكون بين الغزاة والعابدين من لا ينال نفس ثوابهم. فقد طلب «عليه السلام» أن يكون لهؤلاء أيضاً نفس هذا الثواب، من حيث الكيف والحقيقة..

وقد طلب منه تعالى إيجاب ذلك، أي جعله من الأمور المحتومة والمقضية..

ثم إن التعبير بالثواب أفاد استحقاق الغازي والمرابط له، وأنه لا تشوبه أية شائبة، أو تكدير من حيث صعوبة حصوله عليه، أو المنة عليه به، ونحو ذلك.. وأنه لا بد أن يعطى له مع تعظيم وتبجيل.

قال السيد علي خان «رحمه الله»: «والثواب: هو النفع الخالص، المستحق، المقارن للتعظيم والتبجيل»[1].

وذلك كله يشير إلى لزوم رعاية ذلك في التعامل مع هؤلاء الناس في الحياة الدنيا أيضاً..

وَاجْعَلْهُ فِي نِظَامِ الشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ:

وقد طلب «عليه السلام» جعل من لم يتمكن من الغزو في نظام الشهداء.

ولعله لم يقل: اجعله مع الشهداء، لئلا يتوهم أن كونه معهم لا يلزم منه أن يكون في مرتبتهم، أو أن له نفس امتيازاتهم.

---

(1) رياض السالكين ج4 ص274.

كما أنه لم يقل: اجعله في الشهداء، بل أضاف كلمة «نظام»، ربما ليفيد: أن له نفس امتيازاتهم ومقامهم، وأنه منهم على الحقيقة..

وربما كان التعبير بالنظام للإشارة إلى قيمة هؤلاء الناس أيضاً..

وقد فسر النظام: بالعقد المنظوم من الجوهر ونحوه، ويطلق على السلك الذي ينظم به، وعلى الصف من الجراد[1].

ونظام الجراد، وخيط حبات العقد لا اختلاف فيه..

وقد يقال: يحتمل أن يكون المراد عكس هذا المعنى. أي أنه أراد الإشارة إلى أن الشهداء أيضاً يتفاوتون في مقاماتهم ودرجاتهم، كما تتفاوت واسطة العقد مع أخواتها..

ولعله لأجل ذلك: عطف كلمة «الصالحين» على «الشهداء»، عطفاً للعام على الخاص.. حيث إنهم يتفاوتون فيما بينهم..

غير أننا نقول:

إن هذا غير دقيق ولا مقبول، فإن نظام العقد قد لوحظ فيه العقد كله، لخصوصية انتظام حباته المتساوية مع بعضها البعض، والتي تعطي منظراً واحداً بسبب هذا التساوي.. وكذلك الحال بالنسبة للجراد، أما إطلاقه على السلك فهو أكثر وضوحاً في هذا المعنى..

---

(1) رياض السالكين ج4 ص274.

صَلَاةً عَالِيَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ، مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ، صَلَاةً لَا يَنْتَهِي أَمَدُهَا، وَلَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا كَأَتَمِّ مَا مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيدُ»..

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَآلِ مُحَمَّدٍ :

قال السيد علي خان المدني «رحمه الله»: «ختم الدعاء بالصلاة على محمد وآله صلى الله وسلم عليهم، لما ورد في الصحيح: لا يزال الدعاء محجوبا حتى يصلى على محمد وآله»[1].

وقد ذكر «عليه السلام» وسام العبودية أولاً، لأنه هو الذي استحق النبي «صلى الله عليه وآله» به مقام الرسولية..

---

(1) رياض السالكين ج4 ص275.

صَلاةً عَالِيَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ:

وقد طلب «عليه السلام» من الله تعالى: أن ينزل على نبيه وآله رحمة بالغة الشرف، وعظيمة القدر، لا تضاهيها أية رحمة أخرى منه تعالى لعباده في الشرف والعلو، والرتبة، والقدر، تناسب فضل وقدر رسول الله وآله «صلى الله عليه وعليهم»..

مما يعطي: أنه لا بد أن يعطى لكل ذي حق حقه، وأن يراعى له مقامه وفضله في أي عطية يراد تخصيصه بها..

مُشْرِفَةً فَوْقَ التَّحِيَّاتِ:

المراد بإشرافها: ارتفاعها.

والمراد بالتحية: مطلق السلام والدعاء..

أي أنه يريد أن تكون هذه الصلاة أعلى من جميع التحيات التي يمكن أن تلقى على أحد من البشر.. وقد عبر بالإشراف ليفيد هيمنتها، وشدة ظهورها، وتميزها على ما سواها..

وهذا يعطي: أنه لا بد من مراعاة المقام حتى في التحيات أيضاً، التي هي تعامل ظاهري معلن، كما أن من المطلوب إظهار ذلك، بالمستوى الذي يناسب ذلك المقام..

صَلَاةً لا يَنْتَهِي أَمَدُهَا، وَلا يَنْقَطِعُ عَدَدُهَا:

ثم أشار «عليه السلام» إلى لزوم أن لا تتوقف هذه الصلوات والرحمات عند حد. بل تبقى وتستمر بلا انتهاء لأمدها.. والأمد هو الغاية.. ولا بد من تواليها وتتابعها، بحيث لا ينقطع ولا يقف عدها

وإحصاؤها، بل يبقى العد مستمراً..

وهكذا الحال بالنسبة لمكافأة الغازي، والمرابط، ومن خلفهم بحسن العمل والمعاملة، فإنها يجب أن تستمر ولا تنقطع..

كَأَتَمِّ مَا مَضَى مِنْ صَلَوَاتِكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيَائِكَ:

ثم إنه «عليه السلام» قدم أساساً يكون هو المبدأ لهذا الإستمرار، ومنطلقاً ومنشأ لتلك الكثرة، وهو أن ما يطلبه يبدأ عده وحسابه من المرتبة التي هي فوق الرحمات التي صدرت منه تعالى على جميع البشر، بما فيهم الأولياء، والأوصياء، والأنبياء، وأولوا العزم.

إِنَّكَ الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ الْمُبْدِئُ الْمُعِيدُ الْفَعَّالُ لِمَا تُرِيدُ:

وذكروا: أن هذا تعليل لطلب الإجابة، وأنه «عليه السلام» إنما يطلب ذلك منه تعالى، لأنه متصف بهذه الصفات، بل لأنها مقصورة عليه، ولا يتصف غيره تعالى بشيء منها. فالرجاء منقطع عمن سواه.

والمنان.. والفعال.. وإن كانت من صيغ المبالغة بالنسبة للبشر، ولكنها ليست كذلك بالنسبة إليه تعالى، إذ لا تتصور المبالغة في حقه سبحانه، وإنما هي صيغ تكثير.. أي أن هذه الأمور تصدر منه تعالى بكثرة.

وقال ابن الأثير: «المنان: هو المنعم المعطي. من المن بمعنى:

العطاء، لا من المنة»[1].

والحميد: هو المحمود على كل حال، فهو فعيل بمعنى مفعول.

والمبدئ: هو الذي يوجد الأشياء على غير مثال سابق.

والمعيد: هو الذي يوجد ما كان مسبوقاً بمثله.

غير أننا نقول:

قال تعالى: **(قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ)**[2]. **فالمن المذموم:** هو أن يذكر المنعم النعمة بنحو ينقصها ويكدرها على من ينعم عليه..

وأما المن الإلهي، فهو في غاية الحسن، لأنه تذكير منكر النعمة وجاحدها بتلك النعمة، ليجعله في موقع المعترف والشاكر، وهدايته، من ثم ـ إلى الله سبحانه، وتعريفه بأنه موضع رعايته، ولا يريد إلا سعادته.

وبالنسبة للمؤمن تجليل وتكريم، ومحبة ورحمة، ليزيد في جده واجتهاده في طاعته ونيل ألطافه، والحصول على مراتب القرب والزلفى.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» ذكر الصفات الإلهية التي لها مدخلية في إجابة هذا الدعاء بجميع تفاصيله..

ونحن نكل تفصيل ذلك إلى القارئ الكريم، ثقة منا بدقة نظره،

---

(1) النهاية لابن الأثير ج4 ص365.

(2) الآية 18 من سورة الحجرات.

وحصافة رأيه، وصفاء فكره.

والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله..

1428/5/9 هـ ق.

2007/5/25 م ش.

جعفر مرتضى الحسيني العاملي

1 ـ المصادر والمراجع
2 ـ الفهرس التفصيلي

1 ـ المصادر والمراجع

1 ـ الأمالي للطوسي (نشر دار الثقافة ـ قم سنة 1414هـ) و (ط النجف الأشرف).

2 ـ الإحتجاج للطبرسي (نشر دار النعمان ـ النجف الأشرف سنة1386هـ 1966م) و(ط سنة 1313هـ).

3 ـ الإرشاد للمفيد (ط مؤسسة آل البيت) و (ط دار المفيد).
4 ـ الإستذكار لابن عبد البر النمري (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت سنة 2000م).
5 ـ إمتاع الأسماع للمقريزي (منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان سنة 1420هـ ـ 1999م).
6 ـ بحار الأنوار للعلامة المجلسي (ط إيران سنة 1385هـ) و (ط مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان).
7 ـ البداية والنهاية لابن كثير (ط دار إحياء التراث العربي سنة 1413هـ) و (ط مكتبة المعارف بيروت ـ لبنان).
8 ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي (نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان سنة 1391هـ) و (نشر دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة 1376هـ ـ 1957م).
9 ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى للطبري (ط أولى مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ـ سنة 1420هـ).
10 ـ تحف العقول لابن شعبة الحراني (ط مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم سنة 1404هـ) و (ط النجف الأشرف سنة 1385هـ).
11 ـ تفسير العياشي (ط المكتبة العلمية الإسلامية ـ طهران).
12 ـ تفسير القمي (نشر مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر ـ قم ـ إيران 1404هـ).
13 ـ تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (ط دار الكتب الإسلامية ـ طهران سنة 1364هـ ش) و (نشر المطبعة الحيدرية النجف الأشرف).
14 ـ جامع أحاديث الشيعة للآقا حسين الطباطبائي البروجردي (المطبعة العلمية ـ قم سنة 1399هـ).

15 ـ الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي (ط مصطفوي إيران) و (نشر مؤسسة الإمام المهدي ـ قم المقدسة سنة 1409هـ).
16 ـ الخصائص الفاطمية للشيخ محمد باقر الكجوري (ط الشريف الرضي سنة 1380هـ ش).
17 ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام لجعفر مرتضى العاملي (ط مركز جواد للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان).
18 ـ دلائل النبوة للبيهقي (ط دار الكتب العلمية سنة 1405هـ) و (ط 1397هـ).
19 ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني (دار الأضواء ـ بيروت ـ 1403هـ1983م) و (ط إيران).
20 ـ الذريعة إلى مكارم الشيعة.
21 ـ رياض السالكين للسيد علي خان (مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1415هـ).
22 ـ سبل السلام للسيد محمد بن إسماعيل الكحلاني (مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة 1379هـ ـ 1960م).
23 ـ سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي (ط مصر) و(نشر دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان سنة 1414هـ ـ 1993م).
24 ـ سنن ابن ماجة (مطبوع بهامش حاشية السندي) و (دار الفكر ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي) و (ط مكتبة التازية بمصر) و (ط سنة 1373هـ).
25 ـ سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ط دار إحياء السنة النبوية) و (دار الفكر ـ سنة 1410هـ ـ 1990م).
26 ـ سنن الترمذي ـ (ط دار الفكر).
27 ـ السنن الكبرى للبيهقي (ط دار الفكر) و (ط الهند سنة 1344هـ).
28 ـ السيرة النبوية لابن كثير (دار المعرفة ـ بيروت ـ سنة 1369هـ و ط سنة

1396هـ - 1976م).

29 ـ شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار للقاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (مؤسسة النشر الإسلامي سنة 1414هـ) و (دار الثقلين ـ بيروت ـ سنة 1414هـ).

30 ـ شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد (دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى البابي الحلبي وشركاه سنة 1378هـ ـ 1959م) و (منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ سنة 1387هـ ـ 1967م وط سنة 1983م) و (ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت).

31 ـ الصحاح في اللغة الشريفة العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (نشر دار العلم للملايين ـ بيروت ـ سنة 1407هـ -1987 م).

32 ـ صحيح ابن حبان (مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ سنة 1414هـ ـ 1993م).

33 ـ صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري(ط سنة 1309).

34 ـ صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري (ط دار الفكر ـ بيروت) و (ط مشكول) و (ط محمد علي صبيح بمصر وأولاده بالأزهر ـ مصر سنة 1334هـ) و (ط دار إحياء التراث).

35 ـ صحيفة همام بن منبه (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة سنة 1406هـ ـ 1985م).

36 ـ علل الشرايع للشيخ الصدوق.

37 ـ عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للشيخ الصدوق (ط دار العلم قم ـ إيران سنة 1377هـ).

38 ـ الغيبة للطوسي (نشر مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم المقدسة سنة

1411هـ).
39 ـ الغيبة للنعماني (نشر أنوار الهدى سنة 1422هـ) و(مكتبة الصدوق ـ طهران).
40 ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (نشر دار المعرفة ـ بيروت ـ سنة 1300هـ) و (ط دار الفكر) و (ط دار الكتب العلمية).
41 ـ فقه السنة للشيخ سيد سابق (دار الكتاب العربي ـ بيروت).
42 ـ الكافي للكليني (ط دار الاضواء ـ بيروت) و (ط مطبعة الحيدري طهران ـ إيران سنة 1377هـ) و (ط دار الكتب الإسلامية ـ قم سنة1363هـ ش) و (مطبعة النجف سنة 1385هـ).
43 ـ الكامل الزيارات لابن قولويه القمي (المطبعة المرتضوية ـ النجف الأشرف ـ سنة1356 هـ) و (ط مؤسسة النشر الإسلامي 1417هـ).
44 ـ كتاب سليم بن قيس (تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني).
45 ـ كشف القناع عن حجية الإجماع للشيخ أسد الله التستري المعروف بالمحقق الكاظمي (طبعة حجرية سنة 1316هـ).
46 ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للهندي (حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند سنة 1381) و (ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت سنة 1409هـ ـ 1989م).
47 ـ كنز الفوائد لأبي الفتح محمد بن علي الكراجكي (ط دار الأضواء) و (طبعة حجرية ـ مكتبة المصطفوي ـ قم سنة 1369هـ ش).
48 ـ المبسوط لشمس الدين السرخسي (دار المعرفة ـ بيروت ـ سنة 1406هـ ـ 1986م)
49 ـ مجمع البحرين للطريحي (منشورات المكتبة المرتضوية ـ طهران ـ إيران) و (مكتب نشر الثقافة الإسلامية سنة 1408هـ ق ـ 1367هـ ش).

50 ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ 1408هـ ـ 1988م).

51 ـ المحاسن للبرقي (نشر دار الكتب الإسلامية ـ طهران سنة 1370هـ ق ـ 1330هـ ش) و (ط زنكين ـ طهران ـ إيران سنة 1370 هـ).

52 ـ المحلى لعلي بن حزم الظاهري (ط دار الفكر) و (دار الآفاق الجديدة ـ بيروت).

53 ـ مستدرك الوسائل للمحدث النوري (مؤسسة آل البيت ـ قم المقدسة سنة 1407هـ).

54 ـ مسند أبي يعلى للتميمي (تحقيق: حسين سليم أسد) (دار المأمون للتراث ـ بيروت. ودمشق سنة 1407هـ).

55 ـ مسند أحمد بن حنبل (ط صادر ـ بيروت) و (طبعة الحلبي) و (ط دار الحديث القاهرة ـ مصر) و (ط الميمنية ـ مصر سنة 1313هـ).

56 ـ مسند الحميدي (دار الكتب العلمية بيروت ـ 1409هـ 1988م) و (ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ـ الحجاز).

57 ـ مسند الشاميين للطبراني (مؤسسة الرسالة ـ بيروت سنة 1417هـ ـ 1996م).

58 ـ مسند الشهاب للقضاعي (مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ سنة 1405هـ).

59 ـ مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني.

60 ـ المصنف للصنعاني (الطبعة الأولى المجلس العلمي بيروت ـ سنة 1390هـ ـ 1980م تحقيق الشيخ حبيب الرحمن) (ط دار إحياء التراث العربي).

61 ـ المصنف لابن أبي شيبة الكوفي (ط دار الفكر ـ بيروت ـ سنة 1409هـ ـ 1989م) و (ط السلفية ـ الهند سنة 1399هـ).

62 ـ المعجم الأوسط للطبراني (دار الحرمين للطباعة سنة1415 هـ ـ 1995م).

63 ـ المعجم الصغير للطبراني (المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ـ الحجاز سنة 1388هـ).

64 ـ المعجم الكبير للطبراني (مطبعة الأمة في بغداد) و (نشر مكتبة ابن تيمية) و (دار إحياء التراث العربي).

65 ـ المغني لإبن قدامة (دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ـ بيروت 1403هـ) و (ط دار عالم الكتب سنة 1417هـ).

66 ـ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق (ط مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم المقدسة) و (ط النجف الأشرف ـ العراق).

67 ـ المنتقى من السنن المسندة للنيسابوري (ط دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية ـ بيروت سنة 1408هـ ـ 1988م).

68 ـ نهج البلاغة (بشرح عبده) (ط سنة 1412 هـ ـ مطبعة النهضة ـ قم).

69 ـ نور الثقلين (تفسير) للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (مؤسسة إسماعيليان ـ قم سنة 1412هـ ق 1370هـ ش).

70 ـ نيل الأوطار للشوكاني (ط دار الجيل بيروت ـ لبنان سنة1973 م).

71 ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة للحر العاملي (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم سنة 1414هـ) و (دار الإسلامية ـ بيروت).

2 ـ الفهرس التفصلي

تقديم:..... 5

تمهيد الكتاب: 9

هل يدعو الإمام عليه السلام لجيوش الظالمين؟! 9

دعاء أهل الثغور 24

الفصل الأول:

قبل القتال.. 27

الفصل الثاني:

في المواجهة..... 43

الفصل الثالث:

سياسة القتال..... 57

الفصل الرابع:

الحالة العامة في معسكر الأعداء..... 73

الفصل الخامس:

الحالة العامة في معسكر أهل الإيمان.. 89

الفصل السادس:

السياسة.. والأهداف..... 99

الفصل السابع:

ما نتوخاه في الأعداء فيما بينهم..... 109

الفصل الثامن:

الأعداء كأشخاص..... 115

الفصل التاسع:

الأعداء.. في المواجهة..... 125

الفصل العاشر:

ما نتوخاه في المرابط والغازي في ساحات الجهاد.. 135

الفصل الحادي عشر:

في بدايات القتال وخواتيمه..... 155

الفصل الثاني عشر:

كيف تخلف الغازي، والمرابط؟..... 163

الفصل الثالث عشر:

من لم يشارك في الحرب..... 175

الفصل الرابع عشر:

ما يستجاب به الدعاء.. 185

الفهارس:

المصادر والمراجع..... 193

الفهرس التفصيلي 201

كتب مطبوعة للمؤلف

1 ـ الآداب الطبية في الإسلام
2 ـ ابن عباس وأموال البصرة
3 ـ ابن عربي سنيّ متعصب
4 ـ أحيوا أمرنا
5 ـ إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
6 ـ الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
7 ـ الإمام علي والنبي يوشع «عليهما السلام»
8 ـ أفلا تذكرون «حوارات في الدين والعقيدة»
9 ـ أكذوبتان حول الشريف الرضي
10 ـ أهل البيت في آية التطهير
11 ـ بحث حول الشفاعة
12 ـ براءة آدم «عليه السلام» حقيقة قرآنية
13 ـ البنات ربائب.. «قل: هاتوا برهانكم»
14 ـ بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه
15 ـ بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
16 ـ تفسير سورة الفاتحة
17 ـ تفسير سورة الكوثر
18 ـ تفسير سورة الماعون
19 ـ تفسير سورة الناس
20 ـ تفسير سورة هل أتى (2/1)
21 ـ توضيح الواضحات من أشكل المشكلات
22 ـ حديث الإفك
23 ـ حقائق هامة حول القرآن الكريم
24 ـ حقوق الحيوان في الإسلام

25 ـ الحياة السياسية للإمام الجواد «عليه السلام»
26 ـ الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام»
27 ـ الحياة السياسية للإمام الرضا «عليه السلام»
28 ـ خلفيات كتاب مأساة الزهراء «عليها السلام» (6/1)
29 ـ دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (4/1)
30 ـ دراسة في علامات الظهور
31 ـ ربائب الرسول صلى الله عليه وآله «شبهات وردود»
32 ـ رد الشمس لعلي «عليه السلام»
33 ـ زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (3/1)
34 ـ الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
35 ـ سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
36 ـ سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
37 ـ السوق في ظل الدولة الإسلامية
38 ـ سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور (أسس.. ومنطلقات)
39 ـ الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
40 ـ الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله (35/1)
41 ـ صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
42 ـ ظاهرة القارونية من أين؟ وإلى أين؟!
43 ـ ظلامة أبي طالب عليه السلام
44 ـ ظلامة أم كلثوم
45 ـ عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني
46 ـ علي «عليه السلام» والخوارج (2/1)
47 ـ الغدير والمعارضون
48 ـ القول الصائب في إثبات الربائب
49 ـ كربلاء فوق الشبهات
50 ـ لست بفوق أن أخطىء من كلام علي «عليه السلام»
51 ـ لماذا كتاب مأساة الزهراء «عليها السلام»

52 ـ مأساة الزهراء «عليها السلام» (2/1)

53 ـ ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودا؟!

54 ـ مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة) (13/1)

55 ـ مراسم عاشوراء (شبهات وردود)

56 ـ المسجد الأقصى أين؟!

57 ـ مقالات ودراسات

58 ـ منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية

59 ـ المواسم والمراسم

60 ـ موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام

61 ـ موقف علي «عليه السلام» في الحديبية

62 ـ نقش الخواتيم لدى الأئمة «عليهم السلام»

63 ـ الولاية التشريعية

64 ـ ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة

65 ـ أبو ذر مسلم أم شيوعي (بالفارسية)؟!